رواية
إياك من حُبي
إيمان عبد الواحد

إياك من حبى

بقلم /

إيمان عبد الواحد

الفصل الأول

كان ياسين يدهن حوائط المكتب و هو يتمتم بأغنية شهيرة ؛ فكرة أن يشتغل بالمحاماة من خلال مكتبه الخاص أخيراً و بعد مرور ست سنوات على تخرجه بدت له مثيرة جداً و براقة .

تخفف الآن من كثير من الأعباء التي كانت على أكتافه منذ توفى والده و تركه مسئولاً عن أمه و إخوته الأصغر سناً ؛ و هو لم يكن قد حصل على الثانوية العامة بعد ..

لحسن حظه أنه كان يعاون والده دوماً خلال الأجازات الصيفية في عمله كنقاش ؛ مما جعله يتقن الصنعة التي بدونها لم يكن ليستطيع الإنفاق على أسرته و مصروفات دراسته ؛ حتى حصل على ليسانس الحقوق ..

الآن بعد أن تزوجت أخواته ؛ و تخرج شقيقه و حصل على وظيفة في شرم الشيخ و انتقل للإٌقامة هناك ؛ و توفيت والدته لم يعد على أكتافه أية مسئوليات ؛ و أصبح يمكنه أن يغامر بتحويل إحدى غرف شقة الأسرة إلى مكتب محاماة صغير يأمل كثيراً في أن يكبر مع الوقت ..

عندما دخلت تلك الفتاة إلى مكتبه فجأة ؛ التفت إليها ثم أطلق صفيرًا طويلًا و هو يتأملها .. فتاة شقراء ذات عيون خضراء و ثوبٍ أحمر ؛ عيونها حائرة و لا تبتسم ؛ و تمنى لو يرى الإبتسامة تشرق في عينيها و هو يهتف :-

- لا ريب من أنك قد أخطأت الطريق إلى مسابقة اختيار ملكة جمال الكون يا ذات الرداء الأحمر .

هتفت الفتاة في تردد :

- أريد أن أقابل صاحب المكتب .

صوتها العذب ذا اللكنة الأجنبية جعله يضع فرشاة الطلاء من يده ؛ و هو يهتف :-

- أنا هو .. رهن إشارة منك .

نظرت إليه الفتاة في استغراب فاتسعت ابتسامته ؛ و هو يردف :-

- سبعة صنائع .. لن أفتتح المكتب حتى انتهي من طلاء الجدران و شراء بعض الأثاث .

بدا و كأن الفتاة لا تصدقه ؛ لكنها تلفتت حولها و جالت نظراتها في المكان الخالي إلا منهما ؛ قبل أن تتنهد .. في عيونها نظرة حيرة و ربما خوف جذبته بشدة ؛ و هي تهمس :

- هناك إعلان أمام المنزل يطلب فتاة للعمل هنا .

اتسعت ابتسامة ياسين ؛ و هو يهتف :

- أعرف .. وضعته بيدي هذا الصباح و لم أظن أنه سيجذب أجمل فراشة رأيتها في حياتي كما لو كان كرةً من النور .. أحتاج فعلًا إلى فتاة تتولى أعمال السكرتارية .. مجرد فتاة ؛ و ليس حورية من الجنة .

قطبت سجدة جبينها ؛ و هتفت في ضيق :

- أنت تتحرش بي ؛ و هذا منافي للقانون الذي تمثله .. أليس كذلك ؟

هتف ياسين في استسلام ؛ كمن يذعن بالأمر الواقع :

- آسف لكنني فقط أقرر واقع لا يستطيع أحد تجاهله .. حتى القاضي الذي سينظر في أمري .. أنتِ فعلاً جميلة جداً يا آنسة .. هل أتشرف بمعرفة اسمك ؟

تزايد شعورها بالقلق و التوتر ؛ و هي تهتف :

- لست مضطرة لأن أتحمل هذه المعاملة السخيفة .. أتيت للبحث عن عمل لا لتتغزل بي ؛ و يبدو أنني سأنصرف .

هتف ياسين بسرعة :

- لا ؛ أرجوك .. و لن أضايقك مرة أخرى .. تبدين صغيرة .. هل لديك بطاقة ؟

كان يتكلم بجدية جعلت شعورها بالتوتر يقل ؛ و هي تهتف :

- لا ؛ لكنني لست صغيرة فأنا في الثامنة عشر و لكن .. لديّ فقط جواز سفر .

ناولته جواز سفرها فنظر إليه في حيرة ؛ قبل أن يهتف :-

- هل أنت تركية ؟

أومأت برأسها إيجاباً ؛ و همست :

- تقريباً .. فأنا نصف تركية ؛ والدي مصري لكنني لا أحمل أوراقاً مصرية بعد .. لكن

شهادة ميلادي موثقة من السفارة المصرية في انقرة .. هل هذه مشكلة ؟

هز رأسه مبتسماً ؛ و هو يهتف :

- على الإطلاق .. جواز سفرك يكفي و يزيد ؛ و سأحتفظ بصورة منه و أعيده لكِ ؛ المهم .. هل تقيمين قريبًا من مكتبي ؟

ظهر التردد على وجه الفتاة ؛ قبل أن تهمس :

- في الحقيقة لا .. لا أقيم في أي مكان ؛ كنت أبحث عن مكان لأقيم به عندما رأيت الإعلان .

هتف في حيرة :

- هل ستقيمين وحدك ؟ .. و أين أسرتك ؟ .

ظهر الحزن في عيونها ؛ و هي تهتف :

- ليس لي أسرة .. والدتي توفيت في اسطنبول منذ بضعة أشهر و والدي .. لديه أسباب تمنعني من الإقامة لديه .

هتف ياسين في استياء :

- لكننا في القاهرة و لسنا في اسطنبول يا آنسة .. هنا ليس مقبولاً أن تعيش فتاة في سنك بمفردها ؛ و لن تجدي صاحب نزل أو منزل يقبل بتأجيرك غرفة لديه .. و أنا واثق من أن والدك المصري يدرك ذلك .

نظرت إليه سجدة في استنكار ؛ قبل أن تهتف في انزعاج واضح :

- هل سيفضلون أن أعيش في الشارع ؟

ضحك ياسين و هتف :-

- لا سمح الله .. لن يصل الأمر إلى هذا الحد .. لا نستطيع أن نخاطر بأن تصبح إيجارات الأرصفة لدينا أغلى من الفنادق ذات الخمسة نجوم .. قولي لي .. هل تقرئين العربية ؟

أومأت برأسها إيجاباً ؛ و هتفت في ثقة :

- طبعًا .. أجيد العربية و التركية و الانجليزية إجادة تامة تحدثًاً و كتابة .. و يمكنني استخدام الحاسب الآلي بإتقان .

غمز ياسين بعينه ؛ و هو يهتف في انبهار :

- التعليم الجيد استثمار جيد ؛ أليس كذلك ؟ .. أهلاً بك في مكتبي المتواضع يا آنسة سجدة .

كان ياسين لطيفاً جدًا معها عندما قبلها للعمل لديه في مكتبه ؛ و عندما ساعدها على استئجار غرفة ؛ فوق سطح نفس المنزل الذي يقع به مكتبه ..

كانت تقف فوق السطح تتأمل المكان ؛ بينما ياسين يجادل صاحب البيت الذي كان ينظر لها بطرف عينه ؛ و هو لا يرغب في تأجير الغرفة لها .. كان يهتف :

- اعذرني يا أستاذ ياسين .. أنا لا أستطيع أن أعرِّض سمعة بيتي للقيل و القال .. ثم إنها

مسئولية و قد تفتح باباً للمشاكل أنا في غنىً عنه .

هتف ياسين مبتسماً :

- و من أين ستأتي المشاكل - لا سمح الله - ؟ .. هذه ليست فتاة من الشارع .. سجدة قريبتي .. بنت خالي .. و والدها قصدني في أن أجد لها عملاً و سكناً تحت عيني لتساعده على المعايش و أنت تعرف الظروف هذه الأيام .. هل تريد أن تقصر رقبتي أمامه ؟ .. هب أنك تؤجر المكان لي ؛ و أنا سأحرر معك العقد باسمي .. سجدة أمانة لديّ و أنا مسئول عنها ؛ و لا أحد في المنطقة كلها سيجرؤ على التعرض لها ؛ ما داموا يعلمون أنها معدودة من أهل بيتي .. أليس كذلك ؟ .

في الأيام القليلة التالية عرفت سجدة كم أن ياسين شخص طيب و كريم .. عندما ظهرت فجأة في تلك الحارة الصغيرة من حواري السيدة زينب كان الناس ينظرون إليها ؛ و كأنها مخلوق قد هبط عليهم من الفضاء

الخارجي ؛ لكن مكانة ياسين الراسخة في نفوسهم كان لها أثر كبير في تقبل الناس لوجودها بينهم .

كانت تجلس في المكتب بالساعات و هي تقابل أصحاب القضايا الذين كانوا جميعاً من سكان المنطقة ؛ و أغلبهم كانوا يعرفون ياسين بشكل شخصي ..

و من أحاديث الناس بدأت تعرف الكثير عن ياسين حتى بدون أن تسأله .. كان شابًا في الثلاثين من عمره و الشقة التي حول جزءًا منها إلى مكتب متواضع كان يقيم فيها مع أسرته قبل أن تتوفى أمه ؛ و تتزوج أصغر شقيقاته الثلاث اللاتي تولى رعايتهن بعد وفاة والده ؛ و هو بعد في الخامسة عشر من عمره .

عرفت أنه قد دهن جدران مكتبه بنفسه لأن طلاء الجدران كان هو وسيلته لكسب عيشه حتى تمكن من إنهاء دراسته ؛ و إعالة

أسرته الصغيرة حتى تزوجت الفتيات ؛ و التحق شقيقه بعمل جيد في شرم الشيخ ؛ و انتقل إلى الإقامة هناك ..

لا تستطيع سجدة أن تنكر أن العمل في المكتب كان مسليًا ؛ فقد كانت في كل يوم تقابل الكثير من الناس ؛ و تسمع العديد من مشكلات حياتهم و ظروفهم الخاصة ؛ و حاولت أن تنسَ مشكلات حياتها هي و ظروفها الخاصة .. حتى سألها ياسين ذات يوم :-

- ماذا تخططين لحياتك ؟ .

هتفت سجدة بسرعة و بدون تردد :

- أريد أن أعود إلى اسطنبول .

فكرة سفرها و غيابها عن مكتبه و حياته بدت مزعجة جداً حتى أنه قد قطب جبينه ؛ و هتف :

- ألم تقولي أن والدتك قد توفيت ؟ .. هل لديك أسرة هناك ؟ .. أخوة مثلا .

هزت رأسها نفياً ؛ و هتفت في أسف :

- لا .. أنا ابنة وحيدة و لم يكن لدينا أي أقارب وثيقي الصلة بنا ؛ و لكن .. هناك ولدت و تربيت ؛ و ليس لديّ سبب للبقاء هنا .

هتف في حيرة :

- و والدك ؟! .. أنتِ حتى لم تذهبي لزيارته و لا لمرة واحدة خلال الأسابيع الماضية .. لما يا سجدة ؟

لمعت الدموع في عيونها ؛ و هي تهمس :

- لقد تخلى عني و أنا لا أستطيع أن أسامحه على ذلك .. كما أنني لا أحتاج إليه ؛ أستطيع أن أبني حياتي من جديد ؛ سواء عدت إلى تركيا أو بقيت هنا .

كانت جميلة و صغيرة و عنيدة و جاهلة للمخاطر التي يمكن أن تحيط بفتاة و حيدة

مثلها ؛ لولا أن ياسين قد جعلها جزءاً من مسئولياته ؛ و كان يرعاها و يبسط ولايته عليها ؛ خاصة عندما أخبر أهل الحارة أنها قريبة له من بعيد ؛ و لم يعد لها أحد من أسرتها سواه .

و رغم كل الظروف الصعبة التي مرت بها ؛ و التي لم يكن ياسين يعلم شيئاً عنها كانت تشعر بالأمان في وجوده ؛ خاصة أنها باتت تعرف كم هو شخص أمين و قوي و يعتمد عليه ؛ و لا يتخلى عن أي ضعيف يستنجد به أو يلجأ إليه .. فهكذا عاملها و هكذا كان يعامل أصحاب القضايا الذين توافدوا على مكتبه ؛ و كان عددهم في تزايد مستمر ..

ذات يوم قال لها :-

- عندما قررت أن أحول هذه الشقة إلى مكتب ؛ لم أظن أن الأمر سيتم بهذه السرعة أو السهولة .. صحيح أن القضايا التي ترد إلينا صغيرة لكنها متعددة ؛ و لم نخسر قضية واحدة حتى الآن .. أنت تميمة حظي .

هتفت في صدق :

- لا دخل للحظ في هذا يا أستاذ ياسين .. فأنت انسان طيب و محامي كفء و أهل للثقة .. لن أستغرب لو أصبحت واحداً من ألمع المحامين ذات يوم .. لأنك أهل لهذا و تستحقه .

الفصل الثانـي

جلست سجدة فوق السطح و هي تستمع إلى الموسيقى المنبعثة من المقهى الشعبي الموجود أسفل البناية ؛ في عيونها الخضراء دموع لا تسمح لها بالانهمار على وجهها ؛ و في قلبها جرحٌ غائر تخشى من مجرد التفكير به ..

كانت ترتجف و هي تشعر ببرودة الجو و السماء الملبدة بالغيوم فوقها تنذر بهطول المطر ؛ لكنها لم ترغب في أن تأوي إلى برودة غرفتها الخالية إلا منها بهذه السرعة ..

الوحدة تفتح أمام عقلها أبواباً من المخاوف و الآلام و الذكريات ؛ و هي لا تريد أن تظل أسيرة لهذا كله ؛ لكنها لا تعرف ماذا بيدها أن تفعل لتتحرر من الماضي و جراحه ..

كانت شاردة الذهن تفكر في كل ما مرت به منذ عادت إلى القاهرة بحثاً عن الأمان في حضن أب لم تجد لديه الدفء و الحماية ؛ عندما أتى ياسين إلى السطح ؛ و وقف يتأملها في حيرة ..

يرى الدموع دوماً في عيونها لكنه لايدري كيف يمسح الحزن عن قلبها و يخفف عنها .. ربما لو فتحت قلبها له ؛ و باحت بأسراره لوجد سبيلاً لمساعدتها ؛ لكنها كتومة و لا تبوح بشئ من أسرار ماضيها التي يثق ياسين في أنها كانت تعيسة جداً و مؤلمة ..

افتعل السعال لتنتبه إلى وجوده ؛ فالتفتت له في حيرة ؛ و كادت أن تسأله عن السبب الذي جعله يتسلل إلى المكان الخالي إلا منها في ساعة كهذه ؛ لكنها قبل أن تفعل لمحت البطانية التي يحملها في يده ؛ و التي ناولها لها و هو يهتف :

- الجو شديد البرودة الليلة ؛ و ستمطر حتماً .. و فكرت في أنكِ ربما تحتاجين لغطاء مناسب ليدفئك .. ء أنت بخير ؟

أومأت برأسها إيجاباً ؛ و همست :

- بلى .. أظن هذا .. و شكراً على البطانية ؛ الليلة باردة جداً فعلاً .. هل أصنع لك كوباً من الشاي ؟

هز رأسه نفياً ؛ و هتف :

- لا .. بقائي هنا أكثر من هذا لن يكون لائقاً .. سأنزل إلى المقهى فأنا لا أرغب في النوم بعد .. تصبحين على خير .

في الصباح التالي نزلت إلى المكتب ؛ رنت جرس الباب قبل أن تفتح بالمفتاح الذي في حوزتها ؛ كان ياسين في المحكمة من أجل قضية مهمة ينتظر أن يحصل فيها على حكم بالبراءة ..

تركت باب الشقة مفتوحاً ؛ و جلست خلف مكتبها و هي تفكر في أن ياسين سيكسب قضيته حتماً ؛ و قد كانت محقة .. فقد دخل إلى الشقة بعد بضعة دقائق ؛ و على وجهه ابتسامة واسعة و هو يهتف :

- صباح الخير يا ست الحسن و قدم الخير ..

نهضت سجدة ؛ و هتفت مبتسمة :

- لن أسألك عن الحكم فهو واضح .. مبروك يا أستاذ ياسين .

هتف ياسين في حماس :

- مبروك هكذا فحسب لن تكون كافية .. نحتاج للاحتفال .. ما رأيك في دعوة غداء في الحسين ؟ .. هذه أول قضية كبيرة يكسبها المكتب ؛ و أتعابها جيدة جداً و أرغب في إنفاقها ببذخ .. ما رأيك في أكلة نيفة أو كوارع و لحمة راس ؟

قطبت سجدة جبينها ؛ و هي تهتف في حيرة :

- ما معنى نيفة ؟

ضحك ياسين و هو يهتف :

- شيء لن يمكنك الحكم عليه بدون أن تجربيه .. تذوقيها أولاً ثم احكمي عليها .. أشياء كثيرة في الحياة يا سجدة ؛ يجب أن تجربيها أولاً قبل أن تحكمي عليها .

هتفت في أسى :

- لديك حق .. المظاهر خادعة .. ليتنا كنا نستطيع أن نحكم على كثير من الأمور قبل أن نخوض التجربة .. ربما لوفرنا على أنفسنا الكثير من التعاسة و الندم .

بدت تعيسة و لم يدرِ هل عليه أن يسألها عن سبب تعاستها أم أن هذا ليس من حقه ؛ جلست معه في المطعم و هي تتأمل الأكل في استغراب قبل أن تتذوقه .. ابتسم ياسين و هتف :

- الحمد لله على أنكِ لم تنفري منه .. مع أن نظرة واحدة إلى وجهك و أنت تنظرين إليه كانت توحي بأن نفسك تعافه و لن تقربيه .

هتفت سجدة :

- هو دسم كثيراً لكنه طيب المذاق .. شكله لم يكن يبشر بخير لكنني لا أحكم على الأمور بشكلها الآن .. تعلمت أن الجمال قد يخذلك عندما تكتشف أنه يخفي حقيقة قد تكون أقل من مستوى توقعاتك .

في صوتها رنة حزن لا تخطئها الأذن ؛ و في عيونها دمعة حائرة لا تستسلم للانهمار .. هتف ياسين في حيرة :

- لما أشعر دوماً بأن في قلبك حزناً دفيناً لا تريدين البوح به يا سجدة ؟ .. هل تخفين شيئاً عني ؟

تنهدت في حرارة ؛ قبل أن تهمس :

- أنت لا تعرفني يا ياسين .. التقينا منذ بضعة أسابيع فحسب و هي ليست كافية لتتخيل أنك

تستطيع الحكم عليّ .. كل شحص في حياته سراديب يخفي فيها أسراره التي يخجل منها أو يخشى البوح بها .. و أنا مثل كل الناس لديّ ما اضطر لإخفاؤه ؛ و لا أرغب حتى في مجرد التفكير فيه .

هتف في ثقة :

- و والدك جزء من أسرارك هذه ؟ .. لما لا يسأل عنكِ أو يأتي لزيارتك ؟ .. و أنتِ ؟ .. لما ترفضين الاتصال به ؟.. من حقه أن يعرف أين أنتِ و أن يطمئن عليكِ .

هتفت في مرارة :

- لا تقلق .. والدي عاش بدوني سبعة عشر عاماً كاملة ؛ لم يفكر خلالها في زيارتي و لا لمرة واحدة .. حتى أنه لم يكن يكتب لي أو يحاول الاتصال بي .. كل الصلة التي كانت بيننا هي اسمه في شهادة ميلادي و النفقة السخية التي كان يرسلها إلى أمي بانتظام .. حتى عندما ماتت لم يفكر في تعزيتي .. هو لم يطلب مني العودة إلى

القاهرة و لا أظن أنه كان يرغب في وجودي .. أنا التي طلبت منه استضافتي و يا ليتني ما فعلت .. ظننت أنني قد أجد هنا عزاءاً عن وحدتي في اسطنبول لكنني لم أجد شيئاً سوى أب لا يبالي بي و لا يهتم بأمري .. و لا أظنه سيفتقدني الآن ؛ بل ربما يشعر بالارتياح لأن حمل وجودي في حياته قد انزاح من فوق كاهله .

شعر ياسين بالمرارة التي تقطر من صوتها تمزق قلبه ؛ ربت على كفها و هو يهتف في حنان :

- هو الخاسر لا أنتِ .. لو كانت لي ابنة أشد بهاءاً من الشمس نفسها لوضعتها في عيوني أو أخفيتها بين ضلوعي .. لا تفكري به يا عزيزتي و تقبلي حياتك كما هي .. أنتِ صغيرة جداً على أن تغلقي قلبك على كل هذا الحزن ؛ و الحياة لا تزال أمامك و من يعلم ؟ .. ربما كان القدر يخفي لكِ سعادة ستأتي على غير انتظار .

لمسته الحانية لكفها و صوته الدافئ جعلا قلبها يرتعش ؛ و هي تسحب يدها هاتفة في ارتباك :

- أنت تتكلم كثيراً و لم تأكل شيئاً .. الطعام أمامك لا زال كما هو يا ياسين .

ابتسم ياسين و هو يهتف في سرور :

- نطقتِ اسمي أخيراً مجرداً عن الألقاب ؛ لا تعلمين كم يسعدني هذا يا سجدة .. كما أنني لا أشعر بالجوع ؛ مجرد النظر إلى فاتنة مثلك يجعلني أشعر بالشبع طوال حياتي .. ما رأيك في نزهة في النيل ؟ .. ستحبينها كثيراً يا سجدة .

زفرت في حرارة ؛ ياسين يعاملها بمودة لا تليق برب عمل مع موظفة لديه ؛ هو يتودد لها و يحاول استمالتها و هي لا ترغب في خداعه ؛ ليس في حياتها مكان للحب و هي لا تصلح للآمال العريضة التي يعلقها عليها .. هتفت في فتور :

- لا .. لا أظن .. إذا لم تكن ستأكل فالأفضل أن نعود إلى المكتب ؛ فأنا أيضاً قد شبعت .

في المساء أتت تلك المرأة لزيارة المكتب ؛ كانت سيدة جميلة تبدو في الثلاثين من عمرها و مظاهر الهم و التعاسة بادية على وجهها .

عندما دخلت إلى مكتب ياسين ظلت تتحدث معه لأكثر من ساعة ؛ بينما سجدة تراقب باب المكتب المغلق عليهما في توتر ؛ لا تعرف لماذا أحست بكل هذه العصبية طالما كانت المرأة موجودة معه ؛ و عندما انصرفت دخلت إلى ياسين و هي مقطبة الجبين ؛ لم تستطع أن تخفي عصبيتها و هي تهتف :-

- قضيتها متعسرة ؛ أليس كذلك ؟ .. أخذت وقتاً طويلاً جداً .. أهي جناية ؟

ابتسم ياسين ؛ كانت تروق له التعابير التي بدت على محياها الجميل و الشرارات التي كانت تتطاير في خضرة عينيها ثم تختفي .. ربما كانت سجدة تقاوم مشاعره نحوها و لا تريد أن تنجرف معه في قصة حب يعلم جيداً أنها آتية لا محالة ؛ لكنها لن تستطيع أن تقاوم كثيراً لحسن الحظ .. و هتف في هدوء :-

- لا .. بل مجرد قضية طلاق .. لكنني لا أستبعد أن تتحول بسرعة إلى جناية .

هتفت سجدة في حدة ؛ لم تكن تدري لها سبباً :

- لا أفهم . . ماذا تعني ؟

أشار لها بالجلوس أمام مكتبه ؛ لكنها ظلت واقفة و هي تنظر إليه في توتر ..

كان يبتسم في هدوء و هو ينظر في عينيها و كأنها نوافذ ينفذ منها إلى أعماقها ؛ و يستطيع

أن يتوغل في عواطفها و يقرأ كل السطور المكتوبة على جدران قلبها ؛ و التي لا ترغب هي نفسها في الاعتراف بوجودها .. هتف ياسين :

- تلك السيدة متزوجة و لديها طفلان ؛ زوجها ابن أحد التجار المعروفين في المنطقة ؛ رجل صالح و مستقيم لكن الابن للأسف لم يرث خلق والده و انحرف إلى تعاطي المخدرات .. أصبح مدمناً و عنيفاً و فاقداً للرشد ؛ يمكنك أن تتخيلي ما تعانيه تلك المسكينة مع زوج مستعد لضربها و إهانتها لأقل سبب و بدون سبب أحياناً .

شعرت سجدة بأن قدمها لم تعد تقوى على حملها ؛ فجلست على أقرب مقعد إليها ؛ قبل أن تهمس :-

- و ماذا تستطيع أن تفعل لأجلها ؟ .. هل ستطلقها منه ؟

استغرب ياسين النظرة التي بدت في عينيها ؛ و هو يهتف :

- قضية الطلاق في هذه الظروف سهلة و مضمونة و كلما كانت أسرع كان هذا أفضل ؛ لأنه في ظروف مماثلة قد ينتهي الأمر بمأساة .. إذا خرج الزوج عن رشده و تمادى في ضربه لها حتى يزهق روحها في يده .. و قد تحاول الدفاع عن نفسها و يحدث العكس .. كما قلت لك في كثيرٍ من الأحوال ينتهي مثل هذا الزواج في محكمة الجنايات بدلاً من محكمة الأسرة .

تصبب على جبينها عرقاً باردًا ؛ قبل أن تهتف :-

- و هل يمكن أن تستعيد حريتها بسرعة ؟ .. شخص كهذا مجرد من الشفقة و لن يسمح بأن تفلت من يده .. سيجن جنونه إذا علم بأنها تسعى للطلاق .

حدق ياسين في وجهها ؛ كانت تبدو متعاطفة جداً مع المرأة التي كان مجرد وجودها في مكتبه منذ لحظات يجعلها تغلي كالبركان .. لم يكن هذا غريباً على فتاة في رقتها ؛ فربما كان وضع تلك المرأة مأساوياً لدرجة تصدمها و لم تكن تستطيع أن تتخيلها .. هتف :

- خلال بضعة أشهر .. لكنني قبل أن أرفع لها الدعوى سأذهب إلى والده و أتحدث معه ؛ و لا تنسي أن لديها أطفال و سيكون جدهم طرفاً مهمًا في إنهاء الوضع بشكل ودي حرصاً على مصلحة الأولاد .. خصوصاً إذا استطعت أن أنقل إليه مخاوفي و أن أوضح له الصورة كاملة عن المخاطر التي من الممكن أن تؤول إليها الأمور ؛ إذا لم تؤخذ بجدية ؛ و يتم وضع حد لهذا الوضع الشاذ .

نكست سجدة رأسها ؛ و هي تهمس :

- لحسن حظها أنها قد لجأت لك ؛ فأنا واثقة من أنك لن تتخلَ عنها ..

هتف ياسين في هدوء :

- بالطبع لن أتخلَ عنها .. لقد لجأت إلىّ يا سجدة ؛ و من حقها أن أدافع عنها .

تنهدت سجدة و هي تفكر في أنها كانت تحتاج إلى وجوده في حياتها منذ وقت طويل ليدافع عنها .. فلربما لتغيرت الكثير من الأمور .. ربما .

الفصل الثالث

وضعت سجدة قدحاً من القهوة أمام ياسين الذي كان يقرأ جريدة الصباح باهتمام شديد ؛ و هتفت :-

- ألا زالت تلك القضية تشغلك ؟

وضع الجريدة جانباً و تناول قدح القهوة ؛ و هو يهتف :-

- هذه القضية تشغل الرأي العام كله يا سجدة .. لا تنسي أنها جريمة قتل بشعة بكل المقاييس ؛ فالضحية تم ذبحه بكل برودة أعصاب كما أنه صحفي و إعلامي معروف .

ارتشفت سجدة بعضاً من قهوتها ؛ قبل أن تهتف :

- القاتل أيضاً لا تنقصه الشهرة .. فكما سمعت هو رجل أعمال له ثقله .

هتف ياسين في اهتمام :

- ليس مجرد رجل أعمال .. إنه أحد الحيتان القلائل التي لم يكن أحد ليجرؤ على الاقتراب منها ؛ لديه ثروة و سطوة و نفوذ لا يستهان بهم .. أنا واثق من أن هذه القضية ستشغل الرأي العام لوقتٍ طويل جداً .

ابتسمت سجدة و هتفت :

- و أنت كمحامي .. هل تظن أنه سينجو بفعلته ؟

هتف ياسين ببطء :

- في الحقيقة أنا واثق من براءته رغم كل ما كتب في الجريدة .

هتفت سجدة في استنكار :

- براءته ؟! .. كيف يكون بريئاً يا ياسين ؟ .. يقولون أنه قد قبض عليه و الجثة لا تزال بحوزته .

هتف ياسين في هدوء :

- بالفعل .. كان يقود سيارته على طريق مصر – اسكندرية الصحراوي و القتيل في حقيبة السيارة ؛ و لم يقع في يد لجنة مرور من اللجان المنتشرة على طول هذا الطريق ؛ بل تم القبض عليه بعد بلاغ هاتفي من مجهول لم يتم التوصل لشخصيته حتى الآن ؛ و هذا ما يجعلني واثقاً من براءته .

هتفت سجدة في حيرة :

- لا أفهم .. ماذا تعني ؟

ابتسم ياسين ؛ و هتف في رقة :

- اسمعي يا سجدة .. إذا كنتِ أنت في مكانه و تتمتعين بكل سطوته و ثروته ونفوذه ؛ ما الذي يدفعك لقتل صحفي يهاجمك على صفحات الصحف و في برنامجه التليفزيوني بيدك و أنت قادرة على استئجار ألف رجل للقيام بالعمل القذر بدلاً منك ؟ .. و لا تكتفين بتلك الحماقة بل تضعين جثته في سيارتك الخاصة ؛ و تقودينها في طريق مكشوف

لعدد كبير من النقاط الأمنية على مدار الساعة .

تنهدت سجدة ؛ و هتفت :

- أنت ترى أنها مكيدة ؛ أليس كذلك ؟ .. أتظن أن الجثة قد وضعت بالسيارة بدون علمه للإيقاع به ؟

هتف ياسين في ثقة :

- بالضبط .. حتى أن من وضعوها لم ينتظروا حتى يتم ضبطها بشكل طبيعي ؛ فقاموا بالإبلاغ حتى يتم الإمساك به متلبساً إمعاناً في الحرص .. حتى لا يتنبه لوجودها و يتخلص منها قبل القبض عليه .

صمتت لحظة مفكرة في عمق ؛ قبل أن ترشف الباقي من قهوتها و تهتف :

- لديك حق .. وجهة نظر منطقية .. لماذا لا تتطوع للدفاع عنه ما دمت مؤمنًا ببراءته لهذا الحد ؟

ضحك ياسين و هو يهتف :-

- أجمل ما فيك يا عزيزتـي أنك تبدين دائماً كما لو كنت من عالم آخر غير الذي نعيش فيه .. حامد رشوان لا يحتاج إلى متطوعين ؛ هذه القضية ستذهب إلى أحد الأسماء اللامعة جداً في عالم المحاماة حتى أنني أستطيع أن أسميه لك من الآن .. سعفان الرشيدي مثلاً .

صمتت سجدة قليلاً ؛ قبل أن تهمس :-

- ربما لا يكون مؤمناً ببراءته مثلك .

ضحك ياسين مرة أخرى ؛ و هتف :

- أنت فعلاً من كوكب آخر غير الذي نعيش به يا عزيزتـي .. سعفان الرشيدي و أمثاله لا يحتاجون للإيمان ببراءة موكليهم ليدافعوا عنهم ؛ أنت لا تعرفين المبلغ المهول الذي يمكن لشخص مثل حامد رشوان أن يدفعه

لينقذ رقبته .. و سعفان أستاذ كبير و سيستطيع إخراجه من القضية كالشعرة من العجين و بمنتهى السهولة .. أنا عن نفسي سأذهب لأشاهد مرافعته و أتعلم منها .

كانت تشعر بالتوتر و أرادت تغيير دفة الحديث ؛ لذا وضعت قدح القهوة جانباً ؛ و هي تهتف :

- و هل يمكن أن تأخذني معك لأشاهد مرافعتك أنت ذات يوم ؟ ؛ فأنا لم أر محكمة من قبل قط .

مال ياسين نحوها ؛ و هتف في حنان :

- حرام عليكِ .. هل تظنين أنني أحمق إلى هذا الحد ؟ .. إذا قبلت فينوس مثلك الخروج مع شخص رقيق الحال مثلي فلن آخذها إلى محكمة شرعية .. سآخذها فوراً لأقرب مكتب مأذون شرعي .

نهضت سجدة ؛ و هي تهتف في توتر :-

- أرجوك .. كف عن المزاح .

هتف ياسين في حزم و جدية :

- أنا لا أمزح يا سجدة .. أنا فعلاً أرغب في الزواج منك .

هتفت في استنكار :

- ياسين .. أنت لا تعرفني ؛ و لا يمكن أن تفكر في الزواج مني بهذه السرعة .

نهض ياسين ؛ و نظر في عينيها و هو يهتف :

- بالعكس أنا أعرفك جيداً يا سجدة .. فقد عاشرتك لأيام طويلة و أستطيع الحكم علي أخلاقك و طباعك جيداً ؛ أما ما لا أعرفه فعلاً فهو ظروفك و ماضيك ؛ و هذا لا يعنيني كثيراً .

هتفت سجدة في حدة :

- أنت مخطئ يا ياسين ؛ ماضي الانسان و ظروفه جزء منه لا يستطيع أن يستأصله بالسهولة التي تتحدث بها .

زفر ياسين في حرارة ؛ و دار حول مكتبه و وقف يعترض طريقها هاتفاً :-

- سجدة اسمعيني جيداً أرجوك .. أنت ألطف و أرق فتاة عرفتها في حياتي ؛ و ليس هذا فحسب .. لديك طهر و براءة و نقاء لم أرهم في أي انسان عاشرته من قبل أن أعرفك و أنا فعلاً .. أحبك .

خرجت سجدة من المكتب دون أن تنطق بكلمة واحدة و لم تعد مرة أخرى .. في كل يوم كان ياسين ينتظرها دون جدوى حتى يئس من أن يراها مرة أخرى .. بدت و كأنها حلمٌ جميلٌ في ليلة صيف انتهى حين انبلج الصباح و تبدد.. لكن مكتبه بدونها بدا في عينيه كصحراء قاحلة بعد أن جعلته واحة يستريح بها و يستظل من قسوة الحياة و جفاءها ..

ثم حدث آخر شئ كان من الممكن أن يخطر له على بال ؛ اتصال هاتفي مفاجئ من مكتب سعفان الرشيدي حدد له موعداً عاجلاً

لمقابلته ؛ و في نفس اليوم كان ياسين يجلس في مكتبه ؛ و هو لا يفهم ما الذي يجري بالضبط ..

كان سعفان رجلاً وقوراً في الخامسة و السبعين من عمره تقريباً ؛ نظراته الحادة الثاقبة تفحصت ياسين في استغراب ؛ قبل أن يهتف :-

- لن أضيع الوقت في مقدمات لا معنى لها .. أريدك أن تعمل لحسابي .

هتف ياسين في هدوء :

- أخشى أنني لم أكن أحلم بوظيفة في مكتب محاماة عريق كمكتبك يا سيدي .. كما أن لديّ مكتبي المتواضع و أكتفي به .

مط سعفان شفتيه ؛ و هتف في استرخاء :

- لكنني لا أعرض عليك وظيفة ؛ لديّ عدد كبير من المحامين يعملون تحت قيادتي و أصغرهم يكبرك بعشرة أعوام على الأقل ؛ و لديه دكتوراة في القانون الجنائي .. أنت

كما أرى لا زلت مبتدئاً و أمثالك عادةً لا مكان لهم في مملكتي .

ظهر الضيق على وجه ياسين ؛ كان سعفان يتحدث في تعالي جعله يهتف في حدة :

- هذا واقع لا يمكنني أن أنكره .. هل لي أن أفهم لما اتصلت سكرتيرتك بي و حددت هذا الموعد ؟ .. لأنني لا أفهم لما يضيع شخص مثلك وقته الثمين مع المبتدئين أمثالي .

ابتسم سعفان ؛ و هتف في هدوء :

- أنا أعرض عليك قضية محددة أريدك أن تتولى بمفردك مسئولية الدفاع فيها .. لديّ أسباب تمنعني من أن أباشر القضية بنفسي أو عن طريق فريق المحامين الذي يعمل لديّ و قد رشحتك لها .. قضية حامد رشوان .

شحب وجه ياسين ؛ و هتف في ذهول :

- مستحيل ..

لقد ضاعت منه سجدة لكن يبدو أن الحظ الحسن الذي لازمه منذ أن دخلت إلى حياته لم يفارقه بعد ..

خرج من مكتب سعفان و هو لا يصدق أنه يحمل بين يديه ملف القضية التي لم يكن يجرؤ بأن يحلم بالاشتراك في فريق الدفاع الخاص بها .. الآن يمكنه أن يتولى القضية بنفسه ؛ و أن يحصل لموكله على البراءة التي يثق في أنها من حقه ..

كان سعفان قد هتف في هدوء :

- لا يوجد مستحيلات في عالمي يا فتى .. أنا أمنحك فرصة عمرك و آمل أن تكون مستحقاً لها .

كان ياسين يحاول ابتلاع صدمته ؛ و هو يهتف :

- كيف عرفت بأنني مهتم بهذه القضية بالذات ؟ .. و لما وقع اختيارك عليّ لمهمة كهذه ؟ .. أساساً .. ليس بيننا سابق معرفة

حتى أنني قد التحقت بكلية الحقوق بعد أن اعتزلت أنت التدريس بها .. د / سعفان .. ما الذي يحدث بالضبط ؟

استرخى سعفان في مقعده ؛ و هتف مبتسماً :

- لنقل أن القدر يمنحك فرصة عمرك يا فتى ؛ و عليك أن تكون جديراً بها و لا تفرط فيها .. اقرأ ملف القضية و عد و معك مفتاح براءة حامد ؛ لأنه قد يكون مفتاح سعادتك التي لم تكن تحلم بها أو تترقبها .. يمكنك أن تنحي كل أسئلتك جانباً ؛ و سنناقشها معاً بهدوء .. بعد أن ينطق القاضي بحكم البراءة .

الفصل الرابع

جلس ياسين في مكتبه و هو يقرأ صفحات القضية في تركيز شديد ؛ كان الفخ محكمًا و قد أطبق على الرجل الذي لم يبدُ أن أمامه بارقة أمل ؛ لم يكن الأمر سهلاً لكن التحدي كان أبلغ من أن يستطيع ياسين أن يتجاهله ..

و ليومين كاملين أغلق على نفسه باب شقته و ظل يفحص المستندات بدقة ؛ قبل أن يتصل برقم الهاتف الذي أعطاه سعفان إياه و يخبره بأنه مستعد لمناقشة ملابسات القضية معه ..

استغرب كثيراً عندما طلب منه سعفان أن يمر عليه في قصره و ليس في مكتبه و أعطاه العنوان ..

في الموعد المحدد كان ياسين يجلس مع سعفان في مكتبه بالقصر ؛ و هما يتحدثان حول القضية ؛ قبل أن يبتسم سعفان هاتفاً :-

- أنت فعلاً موهوب يا فتى ؛ و ينتظرك مستقبل باهر في عالم المحاماة .

هتف ياسين في إصرار :

- لكنني لا زلت لا أفهم لماذا تعطيني فرصة لا يمكن أن يحلم بها شاب في ظروفي .. كيف عرفت من الأساس أن شخصاً مثلي موجود في هذه الحياة ؟

أشعل سعفان سيجاراً فاخراً ؛ و هتف في هدوء :

- العالم صغير جداً يا فتى أكثر مما تتخيل .. لكن المهم الآن هو التركيز على القضية .. حياة حامد رشوان و مستقبلك المهني متوقفان على مرافعتك أمام القاضي ؛ إذا استطعت إقناعه ببراءة حامد كما قمت بإقناعي الآن ؛ فسأندم كثيراً على أنني لم

أرزق بابن مثلك .. غداً سيحرر لك حامد توكيلاً لتباشر القضية ؛ و سأرسله لك مع شخص من مكتبي أثق به .. لا أحتاج لأن أخبرك بأن وساطتي بينك و بين حامد ليست موضوعاً مطروحاً للتداول ؛ و لا يجب أن تتحدث عنه مع أي شخص .. هل هذا مفهوم ؟

خرج ياسين من مكتب سعفان و هو شارد الذهن ؛ لذلك الرجل أسلوبٌ في الحديث يجعله يشعر بأنه يخطو نحو حقل ألغام ؛ و المشكلة أنه يعلم هذا و لا يرغب في التراجع ..

لم ينتبه كثيراً إلى مظاهر الثراء الفاحش التي تحيط بالمكان ؛ لكنه عندما خرج إلى الحديقة لم يكن من الممكن أن تخطئ عينه الفتاة التي جلست عند حوض السباحة ؛ و هي تدلي قدميها في الماء ؛ و تداعب هرة صغيرة شغلتها عن الانتباه إلى الشاب الذي

اقترب منها حتى وقف خلفها ؛ قبل أن يهتف :-

- آخر شئ كان من الممكن أن يخطر على ذهنـي هو أن أراك مرة أخرى .. هنا .

التفتت إليه و ظهرت الدهشة في عينيها ؛ قبل أن تنهض هاتفة :-

- ياسين .. ماذا تفعل هنا ؟

هتف ياسين في ضيق و قلق :

- عجباً .. كنت أود أن أسألك نفس السؤال .

صمتت سجدة لحظة ؛ و هي تلعن في سرها الحظ العثر الذي جعله يراها الآن .. قبل أن تهمس :

- أنا .. أنا أعيش هنا .

هتف ياسين في استنكار :

- تعيشين هنا ؟!! .. مع سعفان الرشيدي .. مستحيل .. كيف ؟ .. هل هو زوجك ؟

صمتت قليلاً ؛ و هي تحاول أن تتجاوز تأثير المفاجأة ؛ فهي لم تكن ترغب في أن يراها أو أن يعرف شيئاً عنها ؛ و قد ظنت أنه قد خرج من حياتها للأبد .. و هذا ما يجب أن يحدث فعلاً ؛ يجب أن يخرج ياسين من حياتها إلى الأبد ..

تركت القطة تقفز من بين يديها ؛ قبل أن تهتف ببطء :-

- لا .. أنا أعيش معه و أعيش من ماله .. لكنه ليس زوجي .

نظرة الألم و الغضب في عينيه لا يمكن أن تنساها ؛ شعرت بأنها قد طعنته في الصميم ؛ قبل أن يندفع الغضب في عروقه ؛ و يصفعها بقوة ألقتها أرضاً ..

ذهب ياسين و لم يكن ليعود مرة أخرى ؛ و شعرت سجدة بتلك الدمعة الكبيرة التي تجمعت في قلبها لكنها لم تسقط من عينيها .. أبداً .

ظلت تتابعه ببصرها حتى غادر القصر ؛ قبل أن تنهض و هي تضع يدها على وجنتها في موضع الصفعة ؛ كانت تؤلمها بشدة و تعرف أنها ستترك أثراً لن يزول بسرعة ..

لكن الألم الذي في قلبها لم يكن ليزول أبداً ؛ تعرف أنها ما كان عليها أن تقابل ياسين من البداية ؛ رجلٌ مثله لا مكان له في حياتها البائسة ..

دخلت إلى القصر و هي تترنح ؛ رأت الجثة الملقاة أسفل الدرج محطمة الرأس ؛ و غارقة في دمائها ؛ و التي لا تفارق ذهنها ؛ فظلت تصرخ في انهيار ..

صوت صراخها انتزع سعفان من خلف مكتبه ؛ و جعله يندفع نحو الردهة و يسرع نحوها ؛ كذلك انتزع الخادمة التي أتت من المطبخ مسرعة ؛ فهتف بها سعفان :

- خذيها إلى غرفتها ؛ و سأستدعي د / رشاد بسرعة .. من الواضح أنها قد انتكست مرة أخرى .

بصعوبة أقنعتها الخادمة بأن تصعد الدرج ؛ لكن سجدة ظلت تنظر في لوعة إلى الجثة التي لا تفارق عينيها ؛ و ظلت منهارة حتى أتى رشاد و حقنها ببعض المهدئات التي جعلتها تستسلم للنوم ..

كان سعفان قد عاد إلى غرفة مكتبه ؛ و جلس خلف المكتب يدخن سيجاره الفاخر و هو يفكر في شرود ؛ قبل أن يدخل رشاد إليه ؛ و هو يهتف في ضيق :

- حالتها سيئة يا سعفان و لا يمكن السكوت عليها .. و المهدئات ستجعلها تنام لبعض الوقت لكنها ليست حلاً .

هتف سعفان في حدة :

- لو لم يهمل العاملون في مستشفاك و يسمحوا بهروبها ؛ لكانت قد أكملت علاجها لديك ؛ و ما كانت لدينا مشكلة الآن .

هتف رشاد في ضيق :

- و حتى عودتها للمستشفى ليست حلاً يا سعفان .. هي في حاجة للابتعاد عن القصر هنا فعلاً حتى تستطيع أن تنسَ المأساة التي تعرضت لها لكن ليس معنى هذا أن تقصيها إلى المستشفى .. لما لا تسافر إلى مكانٍ هادئ تقضي به بضعة أسابيع ؟ .. اسطنبول مثلاً أو أيّ مكان في أوروربا .. لا تنسَ أنها قد تعرضت لانهيار عصبي من قبل ؛ و هذا لن يمر بالسهولة التي تتخيلها .

هتف سعفان في توتر :

- لا يمكن أن تسافر بمفردها و هي في هذه الحالة كما أنني لا يمكنني السفر معها الآن .. لديّ مشاكل لا حصر لها ؛ و أحارب في جبهات كثيرة ؛ و ليس لديّ وقت لإضاعته في تدليلها .. لا تنسَ أن جزءاً كبير من هذه

المشاكل هي التي تسببت به و ورطتني معها .. انسَ موضوع السفر هذا يا رشاد ؛ و إذا أردت أن تعيدها إلى المستشفى فليس لديّ مانع ؛ لكن عليك أن تنتبه لها هذه المرة ؛ فأنا ليس لديّ وقت أضيعه في البحث عنها .

جلس ياسين في مكتبه مغمض العينين و عقله لا يتوقف عن التفكير ؛ الحورية التي هبطت عليه من الجنة فتحت على قلبه أبواب الجحيم و لا يستطيع أن يقاوم الألم الذي يغمره ؛ و الحيرة التي تمزق أوصاله .

لا يستطيع أن يصدق أن فتاة مثلها يمكن أن تخدعه ببراءتها الزائفة إلى هذا الحد ؛ ابتسامتها الملائكية تسللت إلى قلبه و احتلت كل عواطفه بلا استئذان ..

لكنه لا يستطيع أن يلومها فهي لم تخدعه و لم تحاول أن تفعل ؛ لقد قالت له بصراحة أن ماضيها جزء منها لا تستطيع التخلي عنه قبل أن تهجره .. تهجره ؟!! .. لماذا يجد

لتلك الكلمة وقعاً مؤلماً يعذب روحه ؟ .. سجدة ليست زوجته و لا حتى خطيبته ؛ و كل ما كان بينهما .. ما الذي كان بينهما ؟ .. لا شئ .. لا شئ على الاطلاق ..

هو الذي سقط في هواها كغرٍ أحمق ؛ أما هي فلم تحاول أن تبادله مشاعره بل على العكس .. كانت تغلق في وجهه كل باب حاول أن يطرقه للوصول إليها ؛ و قطعت كل طريق حاول أن يقربه منها ؛ و الآن يمكنه أن يفهم لماذا فعلت ذلك ..

لا يعرف كيف تتورط فتاة في براءتها مع رجل مثل سعفان الرشيدي يكبرها بنصف قرن على الأقل ؛ و يعيش في عالم بعيد كل البعد عن العالم النقي الذي ينبغي أن تعيش فيه زهرة في مثل عمرها بلا خبرة و بلا تجربة ..

زهرة وحيدة في عالم موحش لكن هذا لا يعطيها عذراً و لا يخفف الجرح الذي تركته

في أعماقه ؛ و ليس أمامه سوى أن ينساها .. ينساها ؟! .. يمكنه على الأقل أن يحاول نسيانها ؛ و هو يوقن من أعماق قلبه بأنها محاولة ستبوء بالفشل لا محالة ؛ إنها الآن تنتمي إلى عالم غير عالمه و كل الطرق التي كان من الممكن أن تجمع بينهما صارت مقطوعة ؛ أما سعفان .. فهو بحق من يجب أن يخرج من حياته إلى الأبد ..

لم يستطع الاتصال به على رقم هاتفه لأنه فعلاً لم يكن يطيق مجرد سماع صوته ؛ لكنه اتصل بمكتبه و أبلغهم بأنه قد رفض القضية ؛ و عليهم أن يرسلوا أحداً إلى مكتبه لاسترداد الملف الخاص بها .

فوجئ عندما أنهى الاتصال ؛ و وجد أمامه شاباً دخل إلى مكتبه في خطىً واثقة ؛ و هو يهتف :

- أنا سعيد .. من مكتب د / سعفان و قد أرسل هذا المظروف لك .. المظروف مفتوح

و يمكنك أن تطلع على ما به قبل ذهابي ؛ فربما ...

هب ياسين واقفاً ؛ و هو يهتف في حدة :

- لا داعي لهذا .. عد من حيث أتيت و خذ معك هذا الملف .. قل له أن القضية مرفوضة ؛ و لا أرغب في معرفة شخص مثله ما حييت .

كان سعيد ينظر إلى ياسين في استنكار ؛ لكنه لم يجد أمامه سوى أن يعود إلى سعفان و يعيد إليه الملف و المظروف ؛ و يبلغه بما قاله ياسين حرفياً ؛ و هو يشعر بالذهول .

لكن ما لم يكن في الحسبان هو أن يأتِ سعفان الرشيدي بنفسه إلى مكتبه ..

كانت المفاجأة مذهلة لكن ياسين حاول السيطرة على الغضب الذي يعربد في أعماقه بمجرد أن وقعت عينه على الرجل

الذي كان غاضبا بدوره و لم يخف ذلك ؛ و هو يهتف :-

- هل أنت أحمق ؟ .. تلقي بمنتهى البساطة بفرصة لم يكن مثلك ليحلم بها ؛ نجاحك في القضية سيكفل لك قفزة في عالم المحاماة لم يتمكن غيرك من تحقيقها في سنوات طويلة ؛ و النجاح مضمون .. كيف تكون بهذا الغباء ؟

هتف ياسين في حدة :

- لماذا أنكرت أنك عرفتني عن طريق سجدة ؟ .. لما لم تكن رجلاً و تصارحني بالحقيقة ؟

جلس سعفان على المقعد الذي أمام المكتب دون أن يدعوه ياسين للجلوس ؛ و هتف في استخفاف :

- هل سجدة هي سبب الانقلاب الفظيع الذي حدث لك ؟ .. كنت سأخبرك في الوقت المناسب

لم يستطع ياسين السيطرة على أعصابه أكثر من ذلك ؛ فهب واقفاً و هو يهتف :-

- أنت أحقر انسان عرفته في حياتي .. أنا آسف لأنني كنت أحترمك في يوم من الأيام .

احتقن وجه سعفان ؛ و هتف في استنكار :

- هل جننت ؟ .. كيف تتحدث معي ....

هتف ياسين في ثورة :

- و أنت ؟ .. كيف طاوعك ضميرك على التغرير بطفلة ربما كانت أصغر من أصغر أحفادك ؟ .. أنت ....

قاطعه سعفان هاتفاً في هدوء :

- سجدة ابنتي .

امتقع وجه ياسين بشدة و إن ظل ينظر إلى سعفان في شك و استغراب ؛ بينما أشعل سعفان سيجاراً في هدوء ثم هتف :-

- لديك نسخة من جواز سفرها التركي كما قالت لي .. اسمها سجدة محمد سعفان ..

سجدة ابنتي الوحيدة و أنا للأسف .. ليس لدي أحفاد .

جلس ياسين و هو يتمتم في ذهول :-

- سجدة ابنتك .. ابنتك أنت .. لكن .. هي لم تقل هذا .. هي جعلتني أظن ..

نفث سعفان دخان سيجاره الفاخر ؛ و هتف في هدوء :

- أعرف .. هي التي جعلتك تسيئ الظن بها و بي ؛ لديها أسباب ربما تستطيع أن تشرحها لك فيما بعد .. هل نهدأ الآن و نركز على القضية ؟ .. على فكرة .. هل تعرف كم ستكون أتعابك إذا نجحت فعلاً في إثبات براءة موكلك ؟

لم يكن ياسين يرغب في الحديث عن القضية بل عن سجدة ؛ لكنه هتف في فتور :

- سأكون قد سجلت اسمي بحروف من نور في عالم المحاماة .

ابتسم سعفان ؛ و هتف في حسم :

- ليس هذا فحسب .. ستكون مليونيراً بمجرد أن يسمع حامد رشوان الحكم ببراءته .. بالاضافة إلى هذا .. سأقبلك زوجاً لابنتي .

شحب وجه ياسين ؛ و هتف في توتر :

- ماذا ؟ .. لا أفهم .

مط سعفان شفتيه ؛ و هتف في استرخاء :

- هل تريد مني أن أصدق أن كل ثورتك و حماقتك التي لا توصف هذه من أجل فتاة لا تكن لها بعض العاطفة ؟!! .. إذا استطعت إثبات نفسك كمحامي سأعتبرك جديراً بابنتي و ستكون ابني الذي لم أنجبه و كل ما حققته في حياتي سأتركه أمانة بين يديك .

أطرق ياسين برأسه و هو يفكر في عمق ؛ كان سعفان يساومه على الزواج من ابنته و كأنه يعرض عليه قطعة أثاث يرغب في بيعها له ؛ عندما كانت سجدة تحكي عن

قسوة والدها و إهماله لها ؛ كان يشعر بأنها ربما تكون قد بالغت في الأمر أو تتحامل عليه ؛ لكنه في هذه اللحظة بالذات شعر بأنه يكره هذا الرجل و يرغب في صفعه .. مرتين .. مرة لأنه قد أذاها في الماضي ؛ و مرة لأنه لن يتردد في إيذائها من جديد ..

هتف ياسين في حزم :

- عرضت الزواج عليها من قبل ؛ و لم تكتفي برفضي بل هربت مني .. و من الواضح أنها قد عادت إليك ؛ رغم أنها ربما قد أتت إليّ في البداية هرباً منك .. هناك الكثير الذي لا أعرفه عن سجدة ؛ و أحتاج لسماعه منها .. اسمح لي بأن أقابلها .

نهض سعفان و هو يهتف في صرامة :

- ليس قبل أن أسمع الحكم بأذني .. أنا أمنحك فرصة عمرك و أرجو أن تستحقها .

الفصل الخامس

لم يكف ياسين عن التفكير لحظة واحدة بعد أن تركه سعفان ؛ كان لديه ألف سؤال و لا يستطيع أن يجد إجابة واحدة واضحة و منطقية .

و كان يعرف أنه سيجد كل الإجابات التي يحتاج إليها لدى سجدة ؛ لكن والدها رفض أن يسمح له بزيارتها في القصر ؛ و هو نفسه لم يكن مستعداً لمواجهتها بعد القسوة التي عاملها بها ؛ فقد كان يعرف بأنه قد جرحها بشدة ؛ و أنها لن تسامحه على سوء ظنه بها بهذه البساطة .. لكنه في الصباح عندما فتح باب مكتبه كانت أول شخص يقف أمامه ..

الحزن الذي في عينيها لم يكن هو السكين الوحيد الذي انغرس في قلبه بلا رحمة ؛ بل العلامات التي لا تزال أصابعه القاسية تتركها على وجنتها ؛ ظهر الندم في عينيه و صوته ؛ و هو يهتف :-

- آسف .. حقا آسف .. لا أعرف كيف كنت أفكر و لا كيف عاملتك بهذه القسوة .. أرجوكِ سامحيني .

هتفت في فتور :
- أريد أن أتحدث معك ؛ لكن .. ليس هنا .

خرجا معاً بدون أن يتبادلا و لا كلمة أخرى ؛ كان ياسين يأمل في أن تفتح قلبها له و تحدثه بصراحة لأول مرة ؛ صحبها إلى مقهى قريب حيث جلست صامتة لبعض الوقت قبل أن تهتف :-
- أريدك أن تترك تلك القضية .

فوجئ بما قالت .. لم يكن ينتظر أن تكون قضية حامد رشوان هي ما ترغب في الحديث عنه .. تنهد في حرارة و هتف :
- لا أستطيع أن أفعل .. إنها قضية عمري .

هتفت سجدة في توتر :
- و هل تستحق أن تضيع عمرك لأجلها؟ .

ظل ياسين يحدق في وجهها و هو يفكر في شرود ؛ لا يعرف ما الذي أتى بها إليه .. هل هي فعلاً مهتمة به و تخشى عواقب تورطه في هذه المسألة الشائكة ؛ أم أنها ترغب في ابتعاده عن سعفان الرشيدي و خروجه من حياتها إلى الأبد ؟ .. هتف في بطء :

- لا أفهم .

هتفت سجدة في توتر :

- و لا أنا .. لكنني أعرف أن والدي يتلاعب بك و يستغلك ؛ و لا أريدك أن تتورط معه .

شعر ياسين بالارتياح و هو يفكر في أن ما قالته ليس له سوى معنىً واحد .. سجدة تهتم به فعلاً حتى لو لم تكن ترغب في الاعتراف بهذا .. ابتسم هاتفاً :

- ألا تعرفين أن أتعابي عن هذه القضية بالذات .. لم أكن لأحلم بها ؟

هتفت سجدة في توتر و حدة :

- *مهما كانت أتعابك فهي لا تستحق أن تزج بنفسك في صراع حيتان لا شأن لك به .*

اتسعت ابتسامته ؛ و هتف :

- *حتى لو كانت أتعابي هذه هي .. أنتِ .*

نظرت إليه في دهشة قبل أن تتنهد في حرارة ؛ و هي ترى في عينيه نظرة حب عميقة لا تستطيع أن تتجاهلها .. أبداً

ابتسم ياسين ؛ و ارتشف بعضاً من قدح القهوة الذي أمامه ؛ قبل أن يهتف :-

- سيقبل والدك بزواجنا إذا استطعت أن أكسب القضية .

هتفت سجدة في حدة :

- وعدك بما لا يستطيع الوفاء به .. فأنا لن أسمح لنفسي بأن أكون جزءاً من صفقات والدي التجارية مرة أخرى .

قطب ياسين جبينه ؛ و هتف في ضيق :
- مرة أخرى ؟! .. ما معنى مرة أخرى هذه ؟

زفرت سجدة في حرارة ؛ قبل أن تهتف :
- ليس هذا هو المهم الآن .. المهم أنني لن أتزوج .. لا أريد أن أتزوج .. و بالتأكيد لن أتزوجك أنت بالذات يا ياسين .

خيم الصمت للحظات ؛ شعرت خلالها سجدة بالندم ؛ تعرف أن ياسين لا يمكن أن يفهم أو يتخيل أنها ترفض الزواج منه حباً له و خوفاً عليه ..

و لا تعرف كيف تشرح له هذا دون أن تفتح أبواب الماضي التي تحاول إغلاقها بكل طريقة ..

زفرت سجدة في حرارة ؛ قبل أن تهتف في توتر :-
- آسفة .. لم أقصد أن أجرحك .

حدق ياسين في وجهها ؛ و كأنه يرغب في اختراق رأسها و قراءة أفكارها .. قبل أن يهتف :

- أنت لم تجرحيني لكنني احترت في أمرك فعلاً .. لا أعرف حتى كيف ظهرت في حياتي ؛ و أنت تعيشين في عالم غير الذي أعيش فيه .

أشاحت بعيونها عنه ؛ لا تستطيع أن تظل تنظر في عينيه و فيهما كل هذا الحنان و كل هذا الألم .. ترقرقت الدموع في عيونها ؛ و هي تهمس :

- غلطة .. مجرد غلطة لم أقصدها .. أنا لم أكن أعرف أن قدمي تسوقني إليك .. لقد وجدت نفسي فجأة أمام بابك و لا .....

قاطعها ياسين ؛ هاتفاً في حزم :

- أنا لا أؤمن بالمصادفات يا سجدة ؛ أنا أؤمن بالقدر .. القدر الذي جعلك تبحثين عن عمل في مكتبي و تطرقين بابي عوضاً عن مليون باب بالقاهرة كان بإمكانك أن تطرقيها .. القدر الذي

جعلني أحبك ؛ و أنا الذي لم أعرف الحب من قبل قط .

ظهر التوتر على وجهها ؛ و بدا و كأنها ترغب في مغادرة مقعدها و هي تهتف :
- أرجوك .. أنا لم آتِ إلى هنا لأسمع هذا الكلام منك .

هتف ياسين في استياء :
- و لماذا أتيتِ ؟ .. لتقولي لي أنك لا تريدينني في حياتك .

شحب وجهها بشدة ؛ و هي تهتف :
- أنت فعلاً لا وجود لك في حياتي يا ياسين .. مع هذا من حقك عليّ أن أنصحك ؛ ابتعد عن تلك القضية .

تنهد ياسين و هتف :-
- آه .. بلى .. القضية .. هل يمكن أن أفهم لماذا ؟

هتفت سجدة في حدة :
- أنت تعرف لماذا ؟ .. أنت نفسك قلتها من قبل ؛ حوت كالذي تحاول الدفاع عنه لم يكن ليورط

نفسه في هذه الورطة البشعة .. هناك من ورطه حتماً .. هناك من يريد حامد رشوان داخل السجن و لن يسمح لك بإخراجه .

هز رأسه في هدوء ؛ و هتف :

- فهمت .. هل يمكن أن أعرف من هو هذا الشخص بالضبط ؟

امتقع وجهها بشدة قبل أن تنهض ؛ فأسرع ياسين يمسك يدها هاتفاً :-

- اجلسي أرجوك .. لا زلت أريد أن أتحدث معك .

سحبت يدها من يده بسرعة ؛ و هي تهتف :

- لم يعد لديّ ما أقوله .. من الواضح أنك تصر على أن تلقى حتفك و لن تستمع لصوت العقل مهما قلت لك .

نظر إليها في توسل جعلها تعود إلى مقعدها رغم التوتر البادي على وجهها و عينيها ؛ و هتف ياسين :-

- أنا أعرف أنك محقة ؛ بل و أكثر من هذا .. أنا أعرف أن الشخص الذي ورط حامد رشوان ليس مجرد حوت كبير فحسب .. بل هو حوت لا يستطيع سعفان الرشيدي أن يقف في وجهه علانية ؛ أو على الأقل لديه مصالح معه يخشى أن يفقدها .. أنا لست أحمقاً يا سجدة ؛ ربما كنت سمكة صغيرة في عالم الحيتان هذا لكنني أرى الطعم الذي ألقاه والدك في طريقي و هو يثق تماماً في أنني لن أستطيع أن أقاومه ؛ و هو محق .. أنا فعلاً لا أستطيع التخلي عن تلك القضية .. مهما كانت النتيجة .

حدقت في وجهه في حيرة ؛ قبل أن تهمس :

- عجباً .. ياسين الذي أعرفه لم يكن رجلاً يمكن أن يقتله طموحه بهذه البساطة .

ابسم ياسين و هتف :

- الطموح ليس له سقف يا عزيزتي للأسف ؛ و ما لم يكن يخطر بفكري بالأمس أصبح اليوم هو أهم شئ في حياتي .

نقرت سجدة سطح المنضدة بأظافرها ؛ و هتفت في توتر :
- هل هذا هو قرارك النهائي ؟

استرخى ياسين في مقعده ؛ و هتف :
- هل تذكرين عندما طلبت مني أن أصحبك إلى المحكمة لتشاهديني أترافع ؟ .. أريدك أن تحضري المحاكمة .

نهضت سجدة ؛ و هي تهتف في أسى :
- للأسف .. لا أستطيع أن أشاهدك ؛ و أنت توقع شهادة وفاتك .

تركته و انصرفت سريعاً لكنه كان يعرف أنها لن تكون آخر مرة يراها فيها ؛ لأن الشئ الوحيد الذي اعترفت به دون أن تنطق بحرفٍ واحد منه هو أنها تهتم به ؛ ربما لا تبادله نفس عواطفه بقوتها و حرارتها لكنها تهتم به ..

و كان يعرف أنها ستأتي إلى المحاكمة و كان محقاً ؛ فقد لمحها جالسةً في آخر القاعة و لم يكن من الممكن أن يخطئها ؛ رغم الوشاح الذي

وضعته على شعرها ؛ و النظارة السوداء الكبيرة التي أخفت جمال عينيها .

مجرد النظر إليها و إحساسه بأنها قريبة منه جعله يقف في قاعة المحكمة بخطى ثابتة ؛ و هو يلقي مرافعته في هدوء و حزم قبل أن يحجز القاضي القضية للنطق بالحكم ..

كان يتلقى التهاني من زملائه و عيونه تبحث عنها ؛ لا يعرف أين ذهبت لكنه عندما غادر المحكمة كانت تجلس في سيارة صغيرة في انتظاره .

ركب بجوارها دون أن ينطق بحرفٍ واحد ؛ فاندفعت تقود سيارتها في سرعة و صمت ؛ و هي شاردة الذهن .

بعد نصف ساعة كاملة من الصمت ابتسم ياسين ؛ و هو يهتف :-

- هل يمكن أن أعتبر نفسي مخطوفاً ؟

هتفت سجدة في عصبية :
- لماذا أنت عنيد إلى هذا الحد ؟ ..كان يمكن أن تتراجع فحسب .

هتف ياسين في بساطة :
- الحياة الآمنة لا طعم لها يا سجدة .. المخاطرة أحياناً و ربما المغامرة هي ما تملأ الحياة بالبهجة .

هتفت سجدة في استنكار :
- أنت تشبه سعفان الرشيدي إلى حدٍ كبير ؛ لم يصدر الحكم بعد لكنه ينتظر أن يجني ثمار مغامرته .. مغامرته بحياتك .

هتف ياسين في هدوء :
- الرجل أعطاني فرصة لم أكن لأحلم بها ؛ و يسعدني أن أكون عند حسن ظنه بي .

التفتت إليه سجدة ؛ و هتفت في حسم :
- لكن جزءاً كبيراً من الأتعاب التي وعدك بها لا يستطيع أن يمنحه لك .. لأنني لا زلت أرفض الزواج من أي شخص حتى لو كان أنت .

أطرق ياسين برأسه ؛ و صمت للحظة ؛ قبل أن يهتف في ضيق :

- أليس من حقي أن أعرف لماذا ؟

عادت تلتفت إلى الطريق المزدحم أمامها ؛ و هي تهتف في فتور :

- لا .. لا أظن أنه من حقك .. مع هذا هناك أمور أخرى كثيرة أستطيع أن أخبرك بها .

هتف ياسين في شيء من الحدة :

- هل ستخبرينني عن زوجك السابق ؟

ضغطت مكابح السيارة فجأة فتوقفت على نحوٍ عنيف ؛ قبل أن تهتف :-

- كيف عرفت ؟

زفر ياسين في حرارة ؛ قبل أن يهتف في استياء :

- إنه ليس سراً على كل حال .. حفل زفافك الأسطوري نشرت أخباره بالصحف و أذاعته بعض القنوات الفضائية ؛ و حضره لفيف من الوزراء و الصحفيين و الفنانين و رجال الأعمال ..

قاطعته هاتفة في توتر :

- أرجوك .. لا أريد أن أتحدث عن ذلك .

ارتفع ضجيج السيارات التي أطلقت نفيرها اعتراضاً على وقوف سيارتها المفاجئ في وسط الطريق ؛ لكنها لم تلتفت لهذا ..

كانت تنتفض و قد بدا على وجهها تعبيراً غريباً يوحي بالضياع ؛ لا مجرد الحزن .. فهتف ياسين في مرارة :

- هل كنت تحبينه لهذا الحد ؟

ازداد جسدها انتفاضاً ؛ و تصبب العرق على وجهها ؛ و في ذهنها صورة الجثة التي لا ترغب في مفارقة خيالها ؛ و هي تهمس :

- أرجوك كفى .. اذهب الآن .. اذهب .

الفصل السادس

غادر ياسين السيارة على مضض ؛ بينما انطلقت سجدة بسيارتها عائدة إلى قصر والدها ؛ الذي حاول أن يتحدث معها بخصوص ياسين ؛ لكنها رفضت الحديث ؛ و عادت تحبس نفسها في غرفتها ..

أما ياسين فقد بدأت حياته تتغير فعلاً في اللحظة التي نطق فيها القاضي بحكم البراءة ؛ الذي كان متوقعاً بعد المرافعة القيمة التي ألقاها ياسين ؛ الذي حاول أكثر من مرة أن يقابل سجدة لكنها ظلت تتهرب منه ..

حتى ذلك اليوم الذي أصر فيه والدها على أن تذهب معه إلى حفل البراءة ؛ الذي سيقيمه حامد رشوان في قصره ؛ كانت تعرف أن ياسين سيكون أول الموجودين هناك ؛ و لم تكن ترغب في مقابلته ..

الطريقة التي كان يحاول أن يقتحم بها حياتها و عواطفها توترها و تضغط على أعصابها بشدة ؛ لكن والدها كان مصراً و لم تعرف كيف تتنصل منه .

أخيراً فكرت في أن الحفل قد يكون هو الفرصة التي تحتاج إليها لتجعل ياسين يفهم أخيراً بأنها ليست الفتاة التي تناسبه ؛ و أنها ربما كانت فعلاً من عالمٍ آخر غير الذي يعيش فيه ..

كانت تتوقع أن يكون أول شخص تقابله عندما وصلت إلى الحفل بصحبة والدها لكنها كانت مخطئة ؛ فهو لم يكن قد وصل بعد ؛ لكن الشخص الذي كان ينظر إليها ؛ و لم يرفع عينيه عنها هو طلعت كساب ..

لماذا لم تفكر من قبل في أن شخصاً في مركزه لابد و أن يكون موجوداً في احتفال كهذا و هي لم تكن مستعدة لمقابلته ؛ مجرد رؤيته أهاجت عليها الذكريات المرة ؛ و أيقظت في قلبها الألم

الذي لا تستطيع الفرار منه ؛ كما لم تكن تستطيع الفرار من نظراته المسلطة عليها ..

اقترب طلعت منها ؛ و هتف في برود :

- كيف حالك يا سجدة ؟ .. لم أركِ منذ شهور .. حتى أنكِ لم تحاولي تعزيتي في عمر .

ظلت صامتة ؛ بينما هتف سعفان في حدة :

- الحفل ليس مكاناً مناسباً لحديثٍ كهذا يا طلعت ؛ كما أنك تعرف أن أعصاب البنت لم تتحمل الصدمة ؛ و لا تزال هشة .. ما الذي تفعله هنا على كل حال ؟ .. لم أتوقع أن أراك في هذا الحفل بالذات ؟

اقترب منهما حامد ؛ و هتف مبتسماً :

- بالعكس يا عزيزي سعفان .. طلعت صديق عزيز و هو أول شخص فكرت في دعوته للاحتفال ببراءتي ... لم يكن الحفل لتصبح له قيمة بدون وجوده .. أليس كذلك يا صديقي طلعت ؟

بدا وجه طلعت بارداً كالثلج في الكأس الذي يحمله حامد ؛ و الذي قدمه إلى سجدة و هو يهتف :

- فاتنة مثلك لا يجب أن تعلق في شباك العجائز أمثالنا .. دعي لي والدك و حماكِ العزيز ؛ و اذهبي للاستمتاع بالحفل .

التقطت سجدة الكأس من يده ؛ و تجرعت ما به دفعة واحدة قبل أن تبتعد عنهم ؛ و تحاول أن تختفي بين الموجودين في الحفل ..

كان الحفل صاخباً و التهى والدها عنها بمجرد أن ابتعدت عن عينيه ؛ و وجدت نفسها وحيدة .

عندما مر النادل بجوارها مدت يدها لتلتقط كأساً آخر من النبيذ لكنه لم يكن كافياً لتخليصها من التوتر الذي تشعر به و جف له ريقها ؛ فالتقطت كأساً ثالثة .. ثم وصل ياسين ..

كان نجم الحفل بحق عندما التف حوله جميع الحاضرين لتهنئته لكنه لم يكن يهتم إلا بالعثور عليها ؛ كانت عيونه تبحث عنها حتى وجدها واقفة بجوار حمام السباحة ؛ الذي تلألأت الأنوار على صفحة مياهه كما تلألأت سجدة في الثوب الأنيق الذي ترتديه ؛ كان قلبه يرقص فرحاً و هو يقترب منها ؛ حتى لاحظ الكأس التي في يدها ؛ مد يده يلتقط الكأس ثم ألقاه في حمام السباحة ..

ضحكت سجدة ضحكة صاخبة ؛ و هي تهتف :-

- خسارة .. ما رأيك في أن نذهب خلفه ؟

هتف ياسين في استنكار :

- أنت سكرانة .

هزت رأسها نفياً ؛ و هتفت و هي تترنح :

- لا .. بل أنا سعيدة .. الحفل رائع و أنت تبدو وسيماً جداً .. هل ترقص معي ؟

هتف ياسين في حدة :
- أنا لا أرقص يا سجدة ؛ و أنت يجب أن تنصرفي الآن .. دعينا نذهب .

ارتمت على صدره ؛ و هي تهتف :
- أنت نجم الحفل ؛ كل هؤلاء الناس موجودون هنا بسببك و لأجلك و لا يمكنك أن تتركهم .. اشرب كأساً معي أو دعنا ندخن .. هل تعرف أن حامد رشوان يوزع سكائر الحشيش و الماريجوانا في الحفل مجاناً ؟.

مد ياسين يديه ليحيطها بهما ؛ حتى لا تسقط و هتف في غضب :
- كيف سمح لك والدك بأن تفقدي رشدك على هذا النحو ؟

هتفت في مرارة :
- والدي ؟!! .. آه .. أتقصد سعفان الرشيدي ؟ .. الرجل الذي استطاع أن يتجاهل وجودي لسبعة عشر عاماً كاملة لا أظن أنه سيلاحظ وجودي الآن .. هل تعرف ؟! .. أمي كانت تحتفظ برسائله لها ؛ و عندما ماتت قرأتها ؛ هل تعرف ماذا قال لها عني ؟ .. آه .. كان يقول أنها في حياته ليست أكثر من مجرد

نزوة .. نزوة تركت أثراً .. الأثر الذي استطاع أن يتجاهله كل تلك السنين حتى تذكره فجأة .

تنهد ياسين في حرارة ؛ قبل جبينها و ضمها إلى صدره ؛ و هو يهمس :

- أرجوك يا سجدة .. دعيني أعيدك إلى البيت .

انتزعت نفسها من بين ذراعيه ؛ و هي تهتف :

- لا .. أريد أن أرقص .

كان يرى الدموع التي تلمع في عينيها عندما تركته و ذهبت إلى ساحة الرقص ؛ لكنه لحق بها و جذبها من ذراعها بقسوة حتى غادرا الحفل .. وضعها في سيارته الجديدة رغم اعتراضها و انطلق بها .

ظل ياسين صامتاً و هو يقود سيارته الجديدة في شوارع القاهرة حتى وصل إلى قصر سعفان ؛ أوقف سيارته أمام القصر لكن سجدة

لم تغادرها ؛ كانت تجلس مغمضة العينين ؛ منذ وضعها في السيارة عنوة ..

- سجدة .. هل نمت ؟

همست في أسى :

- أنت الانسان الوحيد الذي اهتم فعلاً بأمري .. عندما طرقت بابك اعتنيت بي و راعيتني رغم أنك لا تعرفني .

هتف ياسين في حنان :

- و أريد أن أعتني بك و أرعاكِ لآخر يوم في عمري يا سجدة .. لكنك لا تمنحيني الفرصة لذلك .

فتحت عيونها و التفتت إليه .. قبل أن تهمس :

- لأنني لا أريد أن تنتهِ حياتك على يدي .

هتف في حيرة :

- ماذا تقصدين ؟

صمتت للحظات ؛ بدا و كأنها ترغب في أن تعترف له بكل ما تخفيه عنه .. لكنها تنهدت في حرارة و همست :

- سأسافر إلى تركيا غداً .

غادرت السيارة لكن ياسين لحق بها ؛ و هو يهتف :-

- انتظري يا سجدة .. لن أسمح لك بأن تتركيني .

التفتت إليه و هتفت :-

- صدقني يا ياسين .. هذا أفضل .

هتف ياسين في حزم :

- هل تريدينني خارج حياتك فعلاً ؟ ..انظري في عينيّ يا سجدة و قولي ذلك .. قولي أنك لا تكنين لي أية عاطفة ؛ و أعدك بأنك لن تري وجهي مرة أخرى طوال حياتك .

وقفت سجدة و نظرت في عينيه ؛ عمق العاطفة فيهما جعل قلبها يرتعش ؛ كل ما

تحتاج إليه هو كذبة .. مجرد كذبة .. و ينتهي عذابها أو يبدأ .. من يدري ؟ .. لكن تلك الكذبة بالذات كانت أصعب من أن تستطيع التفوه بها .

و قبل أن تنطق بكلمة واحدة كان ياسين يجذبها بين ذراعيه و يضمها بشدة ؛ و صوت الرصاص يمزق أذنيها ..

بصعوبة لاحظت السيارة التي كانت تمر من أمام القصر بسرعة و قد ظهر من نافذتها مسدس كبير قبل أن تختفي بسرعة ؛ و حرس القصر يرشقونها بالرصاص .

اندفعت نافورة من الدماء الساخنة تغرق وجهها و ثوبها الفضي لكن الدم لم يكن يسيل من جسدها ..

عندما رأت الجرح الغائر في كتف ياسين و الألم المرتسم على وجهه عرفت أن كل

مخاوفها كانت تتحقق ؛ و سقطت بين ذراعيه مغشياً عليها ....

- سجدة .. أفيقي يا حبيبتـي .. أرجوك .

صوته يتسلل إلى أذنيها و يسحبها من غيمة الظلام التي تحيط بعقلها ؛ فتحت عينيها لترى ياسين يبتسم لها ؛ و هو يتنهد هاتفاً :-

- أخيرا يا حبيبتـي .

همست سجدة في ضعف :

- ء أنت حي ؟

مسح ياسين بيده على شعرها في حنان ؛ و هو يهتف مبتسماً :

- بلى .. مع أنني كدت أن أموت خوفاً عليك .

اعتدلت جالسة و هي تنظر حولها في حيرة ؛ كانت ترقد على فراش بغرفة مستشفى على ما يبدو ؛ أما ياسين فقد كانت الضمادات تحيط بكتفه ؛ قبل أن يهتف :-

- إصابة بسيطة .. الرصاصة لم تستقر في كتفي و لم يصب العظم بسوء و الحمد لله .

هتفت سجدة في لوعة :

- ألم أقل لك ؟.. حياتك في خطر .

الجزع في عيونها جعله يبتسم في سعادة ؛ أحاطها بذراعه السليمة و هو يهتف :

- هل كان يجب أن أصاب بطلقة قاتلة حتى أعرف حقيقة شعورك نحوي ؟

شعرت بالتوتر ؛ و انتزعت نفسها بعيداً عنه و هي تهمس :

- ماذا تقصد ؟ .. أنا .. أنا لا أشعر بأي شئ نحوك .

مال ياسين نحوها ؛ و همس في أذنها :

- كذابة .. كنت منهارة عندما أصبت ؛ و منذ حقنك الطبيب بذلك المهدئ و أنت تهذين .. باسمي .

ازدادت ابتعاداً عنه ؛ و هتفت متلعثمة :

- هذا لا يعني شيئاً .. أنا أنهار بسهولة حتى أنني كنت نزيلة في مصحة عقلية من قبل .

هتف ياسين في هدوء :

- عرفت .. أخبرني طبيبك بأنك قد هربت من المصحة قبل استكمال علاجك .. ألهذا جئت إلى مكتبي أول مرة ؟

نهضت من الفراش ؛ و هي تهتف في عصبية :-

- لا أريد البقاء هنا .. أين والدي ؟

نهض ياسين بدوره ؛ و هتف في هدوء :

- في القصر .. الشرطة و النيابة متواجدون هناك فقد تمكن الحرس من قتل القناص الذي نفذ الحادث ليلة أمس .

عندما عادت إلى القصر لم يكن لديها الكثير من الأقوال لتدلي بها إلى المحقق ؛ لذا صعدت إلى غرفتها بسرعة ..

أما ياسين فقد انتظر حتى أنهى المحققون عملهم و انصرفوا ؛ فقد كان يرغب في الحديث بمفرده مع سعفان الذي جلس في مكتبه ؛ و هو يدخن سيجاراً فاخراً و يتظاهر بالهدوء .. أما ياسين فهو لم يحاول إخفاء توتره و هو يهتف :-

- سجدة تعتقد أنني أنا المقصود بتلك الرصاصة لكن هذا ليس صحيحا للأسف .. أنا واثق من ذلك .

هتف سعفان في برود :

- ما الذي يجعلك واثقا لهذا الحد ؟

هتف ياسين في حدة :

- لأن حامد رشوان قد أصبح خارج السجن فعلاً ؛ و قتلي الآن لن يغير شيئاً من نتيجة القضية .. لم أكن أنا المقصود بالتصفية بل كانت سجدة ..

لم يبدُ على سعفان أن كلام ياسين قد فاجأه ؛ لكن ربما فاجأه أن ياسين قد فطن إلى هذا .. هتف في فتور :

- و من الذي قد يرغب في قتل ابنتي ؟

هتف ياسين في ثورة :

- شخص يرغب في الانتقام منك أنت بلا ريب ؛ و أنت أدرى بأعدائك .

صمت سعفان للحظات ؛ ظل ينفث دخان سيجارته و هو يفكر في عمق ؛ قبل أن يهتف :

- أخبرني حرس القصر بأنه لولا وجودك لكانت الرصاصة قد أودت بها .. أنا ممتن لوجودك معها .

هتف ياسين في عصبية :

- سجدة لا ذنب لها في مشاكلك .. صفي خلافاتك بعيداً عنها .

أطفأ سعفان السيجار ؛ و هو يهتف في حزم :

- سجدة يجب أن تبتعد .. سأسمح لها بالسفر إلى تركيا غداً .

صمت ياسين و لم يقل شيئاً ؛ كان آخر شئ يستطيع احتماله هو أن يتركها تسافر ؛ لكن إذا كان هذا هو السبيل الوحيد لحمايتها فهل يستطيع أن يعترض ؟ .. لكن سعفان أردف :-

- معك .. سجدة يجب أن تسافر على أول طائرة معك .

هتف ياسين في ارتباك :

- معي .. لكن ..

هتف سعفان في حزم :

- لقد وعدتك بأن تتزوجها و يجب أن يتم الزواج الليلة .. ثم تسافران معا لقضاء شهر العسل ؛ و لن تعودا حتى أكون مطمئناً إلى أن أحداً لن يستطيع إيذائها .

تنهد ياسين في حرارة ؛ قبل أن يهتف :

- إنني أتمنى ذلك لكن .. سجدة لا توافق على الزواج .

هتف سعفان في برود :

- سجدة قاصر و أنا ولي أمرها ؛ و لن أسمح لها بالخروج عن طاعتي .

هتف ياسين في حدة :

- لم تعد لك ولاية عليها ؛ سجدة أرملة و من حقها شرعاً اختيار شريك حياتها بنفسها .. ثم إنني لن أقبل بأن أفرض نفسي عليها .

خرج ياسين من مكتب سعفان ليجد سجدة جالسة على الدرج ساهمة .. كانت تنظر إلى الأرض أسفل الدرج ؛ و هي لا تزال ترى جثة عمر المهشمة الرأس غارقة في دمائها ..

نظر إليها ياسين في حيرة ؛ على وجهها خوف و ندم و في عيونها بحر من الدموع لا يرغب في أن ينسكب .. كان يشعر بأنها تنظر

للأرض تحت قدميه ؛ و لا تستطيع أن تراه قبل أن تهمس :

- أنا أنتظرك .. أريد أن أتحدث معك .

خرجا معاً في سيارة سجدة التي قادت السيارة في صمت حتى وصلت إلى المدافن ؛ ثم توقفت أمام المدفن الذي يحمل اسم أسرة طلعت كساب .. زفر ياسين في حرارة ؛ قبل أن يهتف :-

- ماذا نفعل هنا يا سجدة ؟

همست في فتور :

- هذا قبر زوجي .

هتف ياسين في هدوء :

- أعرف .. أخبار زواجكما القصير كانت تملأ الصحف حتى وفاته المحزنة .

هتفت في مرارة :

- أخبار زواجنا القصير بدأت في صفحات المجتمع ؛ و انتهت في صفحة الحوادث لأنني .. أنا ..

صمتت مرة أخرى و ظهر التردد في عينيها ؛ فمد ياسين أنامله يمسح على شعرها في حنان ؛ وهو يهمس :-

- أنت تضغطين على عواطفك بشدة يا سجدة .. دعي الماضي يرحل ؛ عمر كساب مات و ....

انتفضت و هي تهتف :

- عمر قتل .

هتف ياسين في دهشة :

- ماذا ؟!! .. من قال هذا ؟ .. كانت مجرد حادثة يا سجدة ؛ سقط عن الدرج الرخامي في قصر والدك و تهشم رأسه .

عضت شفتها السفلى ؛ و همست :

- لم يسقط سهواً .. أنا .. أنا دفعته عن الدرج .

نظر إليها في حيرة ؛ لم يكن يصدق حرفاً واحداً مما تقول ؛ لكنها أردفت :-

- أنا قتلته يا ياسين .. أنا قتلته .

بدت الصدمة على وجه ياسين و هو يهمس :

- لا أصدق .. مستحيل .

هتفت سجدة في ثورة :

- أنا لست الملاك التي تتخيلها يا ياسين .. أنا قاتلة .. أنا قتلت عمر .. قتلت زوجي .

الفصل السابع

حاول ياسين استيعاب الحقائق الجديدة التي بدأت تتكشف أمامه بينما قادت سجدة سيارتها إلى منزله ؛ و عندما أوقفت السيارة أمام المنزل همست :-

- ستكون هذه آخر مرة أراك فيها .. أنا سأسافر غداً .

هتف ياسين في حزم :

- ليس بهذه السرعة يا سجدة .. الحديث بيننا لم ينتهِ بعد .

هتفت في مرارة :

- بل انتهى .. كل ما كان من الممكن أن يكون بيننا قد انتهى يا ياسين .. حتى من قبل أن نلتقي .

هتف ياسين في إصرار :

- لا .. تعالي معي يا سجدة .. يجب أن نتحدث معاً .

صعدت معه إلى مكتبه على مضض ؛ لا تستطيع أن تنكر أن هذا المكان هو أكثر مكان شعرت فيه بالأمان و الراحة في حياتها ؛ أتت إليه و هي تشعر بأنها ضائعة و كل خطايا الدنيا تتبعها لكنه فتح ذراعيه لها و احتضنها ؛ و قدم لها الدفء و الحماية و الاستقرار ..

دخل ياسين إلى غرفة نومه ؛ حيث استبدل قميصه الممزق الذي لا زالت الدماء تلوثه بقميص نظيف ؛ ثم انضم إليها في المطبخ حيث كانت تصنع القهوة كما اعتادت أن تفعل في الأسابيع القليلة التي قضتها معه .. و في عينيها دمعة تتلألأ لكنها لا تسيل ..

فكر ياسين في أنه كثيراً ما يرى بريق الدموع في عيونها ؛ لكنه لم يرَ دموعها تسيل و لا لمرة واحدة ..

رغم الحزن الجاسم على قلبها ؛ حتى عندما انهارت بعد أن أصابته تلك الرصاصة ظلت

تصرخ و تهذي باسمه لكنها لم تذرف دمعة واحدة ..

مع هذا كان يستطيع أن يرَ الدموع تجري في قلبها الذي تغلقه على الألم و لا تستطيع أن تبوح به ؛ و فكر في أن هذا ما تحتاج إليه فعلاً ؛ أن تبوح بالألم الذي يضنيها ..

- سجدة .. ماذا حدث بينكما ؟

وضعت قدح القهوة أمامه بيد ترتجف ؛ قبل أن تهمس :-

- تشاجرنا .

هتف ياسين في هدوء :

- هذا ليس كل شئ .

جلست سجدة ؛ و هي تهمس :

- التفاصيل لن تغير الحقيقة .. عمر مات و أنا السبب .

هتف ياسين في حسم :

- التفاصيل هي التي تصنع الحقيقة يا سجدة .. هل تزوجتما عن حب ؟

هزت رأسها نفياً ؛ و همست :

- لا .. لا أعرف حتى لما تزوجنا .. عندما ماتت أمي كتبت إلى والدي أخبره بوفاتها ؛ فكرت في أنه قد يرحب بزيارتي له في القاهرة خاصةً أنني كنت أشعر بالوحدة ؛ لكنه لم يرد على رسالتي حتى ظننت أنني كنت مخطئة في تفكيري و أنه لا يرغب في التعرف عليّ .. لكنني فوجئت به يزورني في اسطنبول و يطلب مني أن أعود معه إلى بيته ؛ و أقيم معه بشكلٍ دائم .

هتف ياسين في حيرة :

- و ما الغريب في ذلك ؟ .. أنت ابنته الوحيدة .

هتفت في مرارة :

- ابنة بالكاد كان يتذكر أنها موجودة ؛ صحيح أنه تزوج أمي لبضعة أسابيع لكنه كان من

الممكن أن ينسَ أمرها بمجرد طلاقهما ؛ لولا أنها كانت حاملاً بي .. هو لم ينكر أبوته لي ؛ و كان ينفق عليّ بسخاء لكنه لم يحاول زيارتي في تركيا و لا لمرة واحدة ؛ و لم يدعوني قط لزيارته في مصر .

زفر ياسين في حرارة ؛ قبل أن يهتف :

- سعفان الرشيدي رجل قاسٍ بلا شك .. كرس حياته لمهنته و نجاحه حتى أنه لم يتزوج في شبابه ؛ و عندما رزق بك لم يكن في سن يسمح له بأن يستمتع بأبوته لك .

نكست سجدة رأسها ؛ و همست :

- ليته ظل خارج حياتي إلى الأبد .

هتف ياسين في إشفاق :

- لهذا الحد ؟!! .. ماذا حدث يا سجدة ؟ .

هتفت سجدة في فتور :

- أصر والدي على أن يحتفل بعودتي معه ؛ أقام حفلاً حضره أهم رجال الأعمال و المسئولين

و صفوة المجتمع .. ربما كان يريد أن يعلن لهم أن لديه ابنة لم يكن أحد يعرف شيئاً عنها .. و في ذلك الحفل رآني .

صمتت طويلاً و كأنها تستعيد تلك الذكرى ؛ كان ياسين يدرك أن الحديث عن الماضي كان شاقاً لكنه أراد أن يعرف المزيد ؛ لذا همس :-

- فتاة في جمالك و مركز والدك و ثروته كنز الأحمق فقط يستطيع أن يغفل عنه .

همست في لوعة :

- عمر أيضاً كان قد عاد من أمريكا لتوه بعد أن أكمل دراسته العليا هناك .. كان شاباً لطيفاً و والده كان صديقاً مقرباً لأبي ؛ و قد تقدم لخطبتي في نفس الليلة ؛ و قد رحب والدي بهذه الخطبة كثيراً .. لا .. بل بهذا الزواج ؛ لأنه لم يكن هناك خطبة ؛ فقد تزوجنا بعد أيام .

هتف ياسين في ضيق :

- هكذا ببساطة .. بدون حب .. بدون حتى أن تعرفي الشخص الذي ستضعين حياتك كلها بين يديه .

عضت شفتها السفلى ؛ قبل أن تهتف :

- كنت مبهورة بالحياة التي فتحت أبوابها أمامي و هو كان مبهوراً بجمالي .. لم يستطع أن يرَ أن خلف هذا الجمال مجرد فتاة بلا تجربة و لا خبرة و لا تستطيع إرضاءه .

قطب ياسين جبينه ؛ و هتف في توتر :

- ما معنى هذا ؟

ترددت سجدة للحظة ؛ قبل أن تهمس :

- لم .. لم يكن سعيداً معي .

وضعت القدح على الطاولة بيد مرتعشة ثم أخرجت الأقراص المهدئة التي وصفها لها الطبيب من حقيبة يدها و تناولتها ؛ قبل أن تنهض و هي تهمس :-

- أريد أن أنصرف .

همت بمغادرة المطبخ لكن ياسين أحاط خصرها بذراعه السليمة ؛ و هو يهتف :-

- انظري إليّ يا سجدة .. أرجوك انظري إليّ .

حاولت أن تتملص منه و تهرب من ألم الذكريات لكنها لم تستطع أن تفعل ؛ ربما لأنها كانت تدرك أن هذا الألم سيظل يلاحقها للأبد ما لم تكن جادة فعلاً في مواجهته .. أما ياسين فقد همس :-

- لقد أساء معاملتك .. أليس كذلك ؟

جلست سجدة و أخفت وجهها بين كفيها ؛ فتنهد ياسين قبل أن يردف :-

- لماذا لم تتركيه ؟

كانت ترتجف ؛ و هي تهمس :

- حاولت .. لكنني لم أستطع .

هتف ياسين في حدة :

- و والدك .. هل كان يعرف ؟

هزت رأسها نفياً ؛ و همست :

- ليس في البداية .. في كل مرة كان عمر يركع عند قدميّ و يبكي في حرقة .. في كل مرة كان يقسم لي أنه لن يتمادى في إساءته إليّ مرة أخرى .. في كل مرة كان يبدو نادماً أكثر من المرة السابقة .. لكنه لم يتوقف عن إيذائي ؛ و أنا لم أعد أحتمل .

صمتت قليلاً لتبتلع ريقها ؛ قبل أن تردف :-

- في ذلك اليوم ذهبت إلى قصر والدي و طلبت منه أن يساعدني لأحصل على الطلاق لكنه رفض بشدة .. مصالحه مع طلعت كساب كانت أهم من سعادتي ؛ و أراد أن يعيدني إليه لكنني رفضت .. صعدت إلى غرفتي و قررت أنني لن أعود لذلك الجحيم الذي كنت أعيش فيه مهما حدث ؛ لكنه أتى .. عمر أتى إلى غرفتي .. كان غاضباً و ثار في وجهي ؛ و كنت خائفة مما يستطيع أن يفعله بي لكنني لم أتراجع .. قلت له أنني لن أعود معه أبداً .. طلبت منه الطلاق فجن جنونه و بدأ يضربني .. كان الدم ينزف من أنفي و شفتي و أسناني

و لم أكن أرَ أمامي عندما أفلت من يده .. أردت أن أجري ؛ أن أغادر الغرفة و القصر و الحياة كلها ؛ لكنه لحق بي عند الدرج .. حاول أن يمسك بي لكنني دفعته .. دفعته بكل قوتي لكنني لم أكن أعرف .. لم أفكر في أنه سيسقط .. لم أعرف أنه سيموت .. سيموت بيدي .

كانت تنتفض و هي لا تستطيع أن تمسح من عقلها ذكرى تلك اللحظات القاسية و هي ترى الجسد المسجى أسفل الدرج مهشم الرأس ؛ أعطاها ياسين المزيد من الأقراص المهدئة قبل أن يحملها إلى فراشه و تركها تذهب في سبات عميق ..

في الصباح التالي عندما استيقظت سجدة لم يكن ياسين موجوداً ؛ و كانت سيارتها لا تزال أسفل المنزل فركبتها ؛ و عادت إلى القصر ..

لا تعرف متى تركها ياسين و لا إلى أين قد ذهب ؛ لكنها تعرف أنها لن تراه مرة أخرى ..

لا تستطيع أن تغفر لنفسها ما حدث و لن يستطيع أن يغفره لها ؛ و ربما الآن .. الآن فقط .. تستطيع أن تنهِ رحلتها إلى مصر و التي قد طالت و تعود إلى اسطنبول ؛ لم يعد لديها ما تبقى لأجله حتى والدها ؛ فلقد عاش عمراً بدونها و يستطيع أن يكمل حياته بدون أن تكون موجودة ..

دخلت إلى القصر و هي تعرف أن كل ما عليها أن تفعله هو أن تحزم حقيبتها و تأخذ جواز سفرها و تتجه إلى المطار فلم يعد أمامها سوى ذلك ..

- أين كنتِ ؟

التفتت إلى والدها ؛ كان يقف عند باب مكتبه غاضباً ؛ لأول مرة تراه غاضباً إلى هذا الحد ؛ حتى أنها شعرت بالخوف منه ؛ و هي تهمس :-

- أنا واثقة من أنك تعرف أين كنت يا أبي .. أنا لست عمياء و أستطيع أن ألاحظ السيارة التي ظلت تراقبني .

هتف سعفان في حدة :

- كانت تحرسك يا مدام لا تراقبك .. و لا تنسي أنني لن أسمح باختفاءك مرة أخرى كما فعلتِ من قبل .

هتفت سجدة في حزم :

- لن أختفي يا أبي ؛ لكنني سأسافر .. الليلة .

هتف سعفان في حدة :

- كان من المفروض فعلاً أن تسافري الليلة مع زوجك .. حجزت لكما مقاعد الطائرة و جناح في أفخر فندق هناك ؛ و أحضرت المأذون .. لكنك كنتِ مشغولة .

هتفت سجدة في توتر :

- أرجوك يا أبي لا تضغط عليّ ؛ فأنت تعرف أنني لن أتزوج ياسين .

هتف سعفان في ازدراء :

- صحيح .. أنت لن تتزوجي ياسين ؛ و لا هو سيقبل زواجك .. ليس بعد أن قضيت الليل في منزله .

هتفت سجدة في استياء :

- أرجوك يا أبي .. أنت تهينني .

اقترب منها سعفان ؛ و هو يهتف في ثورة :

- أنت أهنتِ نفسك و أهنتِ والدك و اسمه و سمعته .. ألا يكفي ما سببتيه من مشاكل ؟

هتفت سجدة في حدة :

- أريد أن أخلصك من كل مشاكلي .. دعني أسافر .

هتف سعفان في إصرار :

- مستحيل .. ليس قبل أن نئد الفضيحة في مهدها .. يجب أن يتم زواجكما الليلة .

الفصل الثامن

صعدت إلى غرفتها و هي تعرف أن والدها قد حول قصره إلى قلعة يسجنها بها حتى يقرر الافراج عنها في اللحظة التي يراها مناسبة .

لم تكن تعرف إلى متى من الممكن أن تظل حبيسة في هذا المكان لكنها كانت تعرف تماماً بأن الزواج الذي يصر والدها على عقده لن يحدث أبدًا ؛ ليس بعد كل الحقائق التي انكشفت أمام ياسين ..

فكرت في أنه لابد قد صار يحتقرها الآن أو على الأقل لا يستطيع أن يأتمنها على حياته ؛ فمن المجنون الذي يتزوج امرأة قتلت زوجها ؟ ..

لا تريده أن يكون ضحيتها الجديدة و لا هو سيقبل بأن يغامر بحياته هكذا ببساطة ؛ لكنها كانت مخطئة .. فعندما أخبرتها الخادمة بأن والدها ينتظرها في مكتبه ؛ كان آخر شئ

تتوقعه هو أن تجد ياسين جالساً في مكتب والدها و معه المأذون ..

نظرت إليه مصدومة و هي تهتف :-

- أنت مجنون .

ابتسم ياسين و هو يهتف :-

- ربما .. لكنني مجنون بك .

هتفت سجدة في حدة :

- أنا .. أنا خطر على حياتك ؛ لماذا لا تريد أن تفهم ذلك ؟

نهض ياسين و اقترب منها ؛ نظر في عينيها و ابتسم هاتفاً :

- أنا مستعد للموت لأجلك أو على يديك يا حبيبتي ؛ و لن أندم على ذلك مهما حدث .

تراجعت سجدة خطوتين لتبتعد عنه ؛ و هي تهتف :

- لكنني أنا لست مستعدة .. افهمني يا ياسين ؛ أنا لن أخوض هذا مرة أخرى .. لن أتحمل ذلك ؛ صدقني .

كانت تبدو و كأنها فراشة قد سقطت في شباك عنكبوت ؛ و لا تدرِ كيف تحرر نفسها من الأسر ..

في عيونها نظرة خوف و ألم و رفض يراها ياسين و يفهمها جيداً ؛ لكنه لم يكن مستعداً لتركها نهباً لعواطفها ..

يعرف أنها قد قاست و تألمت كما يعرف بأنه يستطيع أن يداوي كل جراحها لو منحته الفرصة ليفعل ..

اقترب منها مرة أخرى ؛ وضع كفيه على كتفيها ؛ و هتف في حنان :

- ثقي بي .. كل ما أطلبه منك هو أن تثقي بي ؛ أنا لست عمر يا سجدة ؛ أنا لن أؤذيك أو أجرحك كما فعل معك .. أنا أحبك .

نظرت إلى والدها في توسل لكنه لم يكن مستعداً للتراجع عن قراره ؛ و هو يهتف :-

- لم يعد أمامنا وقت .. الطائرة بعد بضع ساعات .

ابتعدت سجدة عن ياسين و تقدمت نحو والدها ؛ و هي تهمس في توسل :

- أرجوك يا أبي .. لا تلومني على شئ لم يحدث إلا في خيالك .

ضحك ياسين ؛ و هو يهتف :-

- اسمعي يا سجدة .. أنا أقيم في حى السيدة و ليس في اسطنبول ؛ و إذا لم تتزوجيني الآن و تصححي غلطتك ؛ فأنا لن أستطيع أن أعود إلى بيتي أبدًا .. أهل الحارة جميعاً شاهدوا سيارتك المتوقفة أمام منزلي طوال الليل ؛ و أنا لن أستطيع أن أواجههم إلا إذا تزوجتيني .

كان يمزح لكنها كانت تشعر بالغيظ .. حتى و هي توقع عقد زواجهما كانت ترغب في

تمزيقه ؛ ثم أسرعت إلى غرفتها و هي لا تستطيع السيطرة على أعصابها ؛ فكل ما مرت به بكل قسوته كان ماثلًا في ذهنها ؛ و لا تريد أن تمر به مرة أخرى .

وقفت أمام المرآة و خلعت ثوبها و تركته ينسدل أرضاً .. القميص الشفاف الذي كانت ترتديه لم يكن يستطيع أن يخفي آثار التعذيب المسطورة على جلدها ؛ و التي ظلت سجدة تحدق بها بعيون محتقنة بالدموع ؛ قبل أن تبتعد عن المرآة ..

جلست على طرف فراشها و سحبت نفساً عميقاً ؛ لكن جسدها ظل يرتجف ..

التقطت علبة الحبوب المهدئة و ابتلعت قرصين ؛ لكنها ظلت تشعر بالخوف يجمد أوصالها و يرغب في تمزيقها ..

التقطت العلبة مرة أخرى و ابتلعت باقي الحبوب و هي تهمس :

- ياسين ليس عمر .. ياسين ليس عمر .

ظلت تردد هذا مرة بعد مرة ؛ قبل أن تشعر بأنها لم تعد قادرة على الجلوس في الفراش فاستلقت على جانبها و هي تهمس :

- كلهم عمر .. كلهم عمر .

كان المأذون و الشهود قد غادروا ؛ عندما التفت ياسين إلى سعفان و هتف في قلق :

- أنا و أنت ضغطنا على سجدة بكل قوتنا و لا أظن أنها ستحتمل هذا .. تجربتها مع عمر كانت مريرة و ليس من السهل عليها أن تثق بي ؛ و تقبل بأن تخوض التجربة مرة أخرى .. أنت لا تتخيل كمية المهدئات التي اضطررت أن أعطيها لها بالأمس لتهدأ و تنام .. و لا أظن أنه من الصواب أن نضغط عليها لهذا الحد .

جلس سعفان خلف مكتبه ؛ و هتف في حزم :

- لم يكن أمامي سوى أن يتم زواجكما و بمنتهى السرعة .. سجدة يجب أن تسافر الليلة و تبتعد

عن مصر بقدر الإمكان و لأطول مدة ممكنة ؛ و ليس من المعقول أن تسافر وحدها و هي في هذه الحالة .. سفرك معها سيحميها ؛ و زواجكما سيعطيك الفرصة لتكون معها و ترعاها .. لديّ معارك كبيرة هنا و يجب أن أتفرغ لها ؛ و لا أريد أن تصبح سجدة طرفاً فيها .

هتف ياسين في توتر :

- معارك مع طلعت كساب ؛ أليس كذلك ؟ .. هو الذي أرسل القناص في تلك الليلة ليصفيها ؛ لا تنكر هذا لأنني واثق مما أقول .. ما لا أفهمه فعلاً هو لما لم تبلغ عنه ؟ .. طالما هو حر ستظل سجدة معرضة للخطر .

أشعل سعفان سيجاره ؛ و هتف في هدوء :

- صيد الحيتان ليس سهلاً يا ياسين .. و لا تنسى أن طلعت وزير و لديه حصانة ؛ و إدانته في جريمة كهذه مسألة ليست سهلة .. ثم إنني لن أستطيع أن أصرح بأنه يرغب في قتل سجدة انتقاماً لابنه دون أن أخاطر بفتح القضية ؛

و سجدة منهارة كما ترى و لن تحتمل هذا أبداً .

جلس ياسين ؛ و هو يهتف في حدة :

- سجدة بريئة .. تقرير الطب الشرعي أثبت أن عمر كان مخموراً و اختل توازنه .. و هذا وحده دليلاً كافياً على براءتها .

صمت سعفان لحظة ؛ قبل أن يهتف :

- من الواضح أنك قد اطلعت على التقرير .

هتف ياسين بسرعة :

- ذهبت إلى النيابة هذا الصباح ؛ و اطلعت على ملف القضية كله .. تقرير الطب الشرعي يبرئها ؛ و أنت أدرى مني بذلك .

هتف سعفان في هدوء :

- التقرير مزيف .. الخمر لم تكن هي كل ما تم العثور عليه في دم عمر .. الكلب كان مدمناً .. التحاليل أثبتت أنه كان يتعاطى المخدرات

بأنواع مختلفة ؛ و بكميات كبيرة و منذ مدة طويلة .

عقد ياسين حاجبيه ؛ و هتف في حدة :

- و من الذي زيف التقرير ؟ .. أنت ؟

هتف سعفان في برود :

- أنا ؟ .. و لماذا أفعل هذا ؟ .. ليست لي مصلحة في تزييف التقرير .

هتف ياسين في حدة :

- مصلحة طلعت و مصالحك سيان .. سيادة الوزير لم يكن مستعداً لأن يتعرض لفضيحة كهذه من الممكن أن تطيح بكرسيه و تهدد استثماراته .. موت ابنه عنده مصيبة أهون من ضياع مركزه و نفوذه ..

نفث سعفان دخان سيجارته في هدوءه المعتاد ؛ قبل أن يهتف :

- كنت مضطراً لمساعدته .. طلعت استغل كل نفوذه ليتم غلق القضية بسرعة و هذا ما كنت

أريده .. سجدة أصيبت بانهيار عصبي و لو وجهت لها النيابة سؤالاً واحداً لاعترفت بكل شيء و حالتها لم تكن تسمح بأن تتعرض للمحاكمة .. و لو علم طلعت بأنها وراء موت ابنه الوحيد كان سينتقم له بلا شك ؛ و أنا حاولت بكل قوتي أن أحول دون حدوث هذا .

هتف ياسين في توتر :

- لكنه يعلم .. محاولته لقتلها ليس لها معنىً آخر .

أومأ سعفان برأسه إيجاباً ؛ و هتف :

- بات يعلم فعلاً و لا أستغرب هذا .. سجدة قضت في المصحة ثلاثة أشهر و هي تهذي حول موت عمر على يدها و لم يكن من الصعب أن يصل هذيانها إلى أذنيه .. لكنه لم يكن يستطيع أن يتعرض لها خوفاً على مصالحه معي .

هتف ياسين في ضيق :

- كان هذا قبل ليلة الحفل .. طلعت كان موجوداً و رأى سجدة معي .. كان هذا كافياً ليفهم أنك قد تآمرت مع حامد ضده و أفسدت عليه المؤامرة التي أحبكها للتخلص منه باستخدامي .. و لا ريب من أنه قد لاحظ انجذابي نحوها ؛ و هو لم يكن ليتركها تلملم شتات حياتها التي مزقها ابنه ؛ و تبدأ في استئناف حياتها من جديد .

أخرج سعفان من جيبه فلاشة ناولها إلى ياسين ؛ و هو يهتف :

- لذا لم يعد أمامي سوى أن اصطاده قبل أن ينجح هو في اصطياد ابنتي .. هذه الفلاشة التي في يدك هي حبل المشنقة الذي سيلتف حول رقبة طلعت و يجهز عليه ؛ عليها صور مستندات تكفي لإلقاءه في السجن مدى الحياة .. و أنا سأخبرك أين أحتفظ بأصول المستندات و بخطتي للإيقاع به .. المهم أن تأخذ سجدة إلى المطار فوراً حتى لا تفوتكما الرحلة .

انفتح باب غرفة سجدة و دخل ياسين الذي أطلق صفيرًا طويلاً ؛ و هو يتأمل الغرفة قبل أن يهتف :-

- غرفتك أكبر من شقتي .. هل تتجولين فيها بسهولة أم تحتاجين إلى خريطة ؟

حاولت سجدة أن تنهض لتغادر الفراش لكنها ترنحت بشدة و تهاوت جالسة ؛ كانت جدران الغرفة تدور حولها بسرعة حتى أنها لم تكن تستطيع أن ترَ ياسين الذي اندفع نحوها ؛ و وضع يديه على كتفيها و هو يهتف في لوعة :

- ما بكِ ؟ .. ماذا فعلتِ بنفسك يا مجنونة ؟ .. جسدك بارد كالثلج .

همست سجدة :

- تمثال ثلج .. بلا روح .. و بلا مشاعر .

امتقع وجه ياسين بشدة ؛ رأى آثار الحروق المتفرقة على جسدها العاري و شعر بالدم يغلي في عروقه و هو يهتف :

- عمر قال هذا لكِ .. هو الذي فعل هذا بكِ .

ارتمت في صدره و أغمضت عينيها ؛ و هي تستسلم للظلام يلف رأسها ؛ و يسحبها بعيداً جداً عن الواقع الذي لم يحمل لها سوى العذاب .

الفصل التاسع

جلس ياسين على طرف فراش سجدة التي لم تكن قد استعادت وعيها بعد ؛ بينما وقف سعفان عند باب الغرفة مع رشاد الذي كان يهتف :

- لحسن الحظ أن كمية المهدئات التي تناولتها لم تكن كبيرة جداً .. و إلا لما استطعنا أن نفعل شيئاً لإنقاذها .. حذرتك من قبل يا سعفان لكنك لم تسمع لي .. البنت مشوشة و غير متزنة و ما كان عليك أن تتركها في القصر الذي يذكرها كل ركن فيه بالكارثة التي حلت بها .. كان عليك أن تسمع لي و تحاول إبعادها عن القصر إلى مكانٍ يمكن أن تستريح به أعصابها و تهدأ .. عملك ليس هو الشيء الوحيد الذي عليك الاهتمام به .. ابنتك لها حقوق لكنك قصرت كثيراً في أدائها للأسف و هذه هي النتيجة .. احمد الله على أنها لم تفقد حياتها ؛ و حاول أن تتدارك خطئك .

غادر الطبيب الغرفة و التفت سعفان إلى ابنته الفاقدة الوعيّ و إلى ياسين الذي كان يحدق في

وجهها بعيون محتقنة بالدموع قبل أن يلتفت إلى سعفان ؛ و هو يهتف في غضب :

- أيّ أبٍ أنت ؟ .. كيف تترك ابنتك الوحيدة تحت رحمة كلب مسعور مثل عمر ؟ .. كيف تركته ينكل بها و يقهرها و يحطمها على هذا النحو ؟ .. كيف هانت عليك ؟

هتف سعفان في توتر :

- لم أكن أعلم .. عيوب عمر كلها ظلت مستورة حتى موته ؛ و ما كان أحد ليتخيل أن شاباً في فتوته من الممكن ...

هب ياسين واقفاً ؛ و هو يهتف في ثورة :

- كذاب .. ابنتك لجأت إليك .. استنجدت بك .. لكنك تخليت عنها و خذلتها .. مصالحك مع طلعت كساب كبلتك و منعتك من أن تمد يدك لتنتشلها مما هي فيه .. سجدة عاشت مع عمر لسبعة أشهر كاملة .. سبعة أشهر تحت رحمة حيوان مدمن معدوم الضمير و الرجولة .. لا تقل أنك كنت أعمى و لم ترَ كم هي تعيسة ؛ بل قل أنك ضحيت بها في سبيل أطماعك ..

سجدة كان من الممكن أن تموت و أنت السبب .. لا أعرف كيف تتحمل أن تنظر في وجهك و تناديك بأبي بعد أن خذلتها ؛ و تخليت عنها و هي في هذه المحنة .. لا أعرف كيف تجرؤ أنت على النظر في وجهها بعد كل ما فعلت .

غادر سعفان الغرفة دون أن ينطق بحرفٍ واحد ؛ بينما زفر ياسين في حرارة و هو يحاول بصعوبة السيطرة على أعصابه .. عندما أفلتت آهة من بين شفتي سجدة ؛ أسرع نحوها ..

جلس على طرف فراشها و مسح بيده على شعرها في حنان ؛ و هو يهمس :

- سجدة .. حبيبتي .. هل أفقتِ ؟

فتحت عيونها ببطء ؛ فهمس ياسين :

- حمداً لله على سلامتك يا سجدة .. لا أتخيل أنني من الممكن أن أفقدك دون أن أفقد عقلي يا حبيبتي .. أحبك يا سجدة .. أحبك بكل كياني .

تنهدت في حرارة و أغمضت عيونها و استسلمت للنوم فقبل ياسين جبينها و همس :

- نامي يا حبيبتي .. نامي و ارتاحي .. أعرف كم تعذبتِ و تحتاجين للراحة .

هب واقفاً فجأة و انتفض قلبه في هلع عندما سمع صوت انفجار كبير على بعد خطوات من المستشفى ؛ و حتى من قبل أن يأتِ رشاد إليه مسرعاً كان يعرف ما حدث .. هتف رشاد في توتر :

- مصيبة يا ياسين .. سيارة سعفان انفجرت و مات هو و كل الحرس الذين كانوا معه .. من الواضح أن السيارة كانت ملغومة .. لحظات و سنجد الشرطة و النيابة و ربما أمن الدولة فوق رؤوسنا .

هتف ياسين في توتر :

- اسكت .. سجدة من الممكن أن تستعيد وعيها في أية لحظة و لا أريدها أن تعلم شيئاً عن هذا .

عندما غادر الغرفة و معه رشاد و أغلق بابها خلفه ؛ كان كلاهما يسمع أبواق سيارات الشرطة و الإسعاف لكن ياسين لم يكن يبالي بهذا كله ؛ فقد كان كل ما يفكر فيه هو سجدة .. سجدة فحسب .. هتف في حزم :

- حياة سجدة في خطر و يجب أن نحميها .. سجدة يجب أن تستعيد وعيها بسرعة و تغادر القاهرة .. افعل شيئاً لإفاقتها و استعادتها لقواها بأقصى سرعة ممكنة .

هتف الطبيب بسرعة :

- هي بخير يا ياسين .. ستستعيد وعيها خلال بضع ساعات على الأكثر و حالتها ستسمح بالسفر خلال يوم أو يومين ؛ لكن لن يمكنها السفر .. ستبدأ التحقيقات في الحادث ؛ و لن يكون من الممكن ...

قاطعه ياسين هاتفاً في حدة :

- و هل حالتها تسمح بالتعرض لضغطٍ كهذا ؟ .. أريد تقريراً طبياً يعفيها من المساءلة فوراً ..

سجدة لا يجب أن تعرف شيئاً عن الحادث و يكفيها ما تمر به .. هل تفهم ؟

هز الطبيب رأسه ؛ و هو يهتف :

- اطمئن يا ياسين و اعتبر التقرير جاهز و تحت يدك .. و سأفعل ما بوسعي لتتعافى سجدة بسرعة .

هتف ياسين في حزم :

- حتى تغادر سجدة المستشفى لن تسمح لأي شخص بدخول غرفتها سوى أنا و أنت .. يمكنك أن تختار ممرضة أو اثنتين تثق بهما تمام الثقة لتبقى إحداهما معها في الغرفة طوال الوقت بالتناوب و أنا سأضع حراسة على الباب .. لا أريد أن تتسلل ناموسة إلى غرفتها بدون علمي .. هل هذا واضح ؟

عاد ياسين إلى غرفة سجدة ؛ ظل يتأمل وجهها الشاحب و عيونها المسبلة للحظات ؛ و هو يتحسس الفلاشة التي في جيبه قبل أن يهمس :

- أعدك بأن أحميك يا حبيبتي بأي ثمن .. مهما حدث لن أسمح لهم بإيذاءك .

لم يغادر ياسين المستشفى إلا بعد أن أتى الحارسان ؛ و وقفا على بابها و اطمأن إلى أن الممرضة ستظل بجوارها ؛ عندما تركها لم تكن قد استعادت وعيها بعد فقد ظلت نائمة حتى الصباح التالي و عندما أفاقت لم يكن ياسين موجوداً ؛ و لم تكن ترغب في الحديث مع الممرضة التي هتفت :

- ألستِ جائعة ؟ .. أمر د / رشاد بأن تأكلي جيداً حتى يمكننا أن ننزع الكانولا ؛ و نوقف المحاليل التي نمدك بها .. سأذهب لأحضر لكِ الطعام فوراً .

عندما غادرت الممرضة الغرفة نهضت سجدة و هي تترنح ؛ لا تزال تشعر بالدوار و تقف على قدميها بصعوبة ؛ لكنها نزعت الكانولا من يدها و اقتربت من باب الغرفة و فتحته .. ثم تراجعت في ذعر عندما اقترب منها الحارسان .. و همست :

- من أنتما ؟ .. و ماذا تفعلان هنا ؟ .. أين أبي ؟ .. و أين ياسين ؟ .. هل أنا محبوسة ؟

خف ذعرها عندما تجاوز ياسين الحرس و دخل إلى الغرفة قبل أن يغلق بابها خلفه ؛ و هو يهتف مبتسماً :

- على الإطلاق يا حبيبتي .. هما هنا لحراستك و تلبية طلباتك لا أكثر و لا أقل .. و إذا كان وجودهما يزعجك يمكنني أن أصرفهما فوراً .

همست في فتور :

- أين أبي ؟

تجاهل ياسين سؤالها عندما لمح قطرات الدماء التي سالت على كفها من موضع انتزاع الكانولا .. أسرع يخرج منديلاً من جيبه و التقط كفها ليمسح الدم عنه في حنان ؛ و هو يهتف معاتباً :

- أنتِ مجروحة و لم تقولي يا سجدة .. يجب أن تبوحي بالألم يا حبيبتي ليمكننا مواجهته ..

الجروح لا تبرأ من تلقاء نفسها يا روحي ؛ بل يجب أن نعالجها قبل فوات الأوان .

نظرت إليه و هي تبحث عن تلك الابتسامة التي لم تكن تفارقه لكنه لم يكن يبتسم ؛ كان جاداً فيما يقول خاصة عندما أردف :-

- أنا أعرف أنك مررت بتجربة قاسية ؛ و أفهم أنك لست مستعدة بعد لخوض تجربة جديدة .. لكنني فعلاً أحبك يا سجدة ؛ و أستطيع أن أنتظر .

همست في مرارة :

- إلى متى ؟ .. ربما كنت تنتظر سراباً لن يتحقق .

نظر ياسين إلى عينيها ؛ و هتف في ثقة :

- أنت مخطئة .. لأنك تحبينني كما أحبك يا سجدة .

تلألأت الدموع في عينيها ؛ و هي تهمس :-

- ربما لن تظل تحبني عندما تكتشف أنني لم أخلق للحب .. أنا مجرد تمثال بارد بلا روح و بلا مشاعر .

عربد الغضب في أعماقه ؛ و هو يتمتم :-

- هو قال لك ذلك ؟!! .. عمر أحمق يا سجدة .. لا يعرف قيمتك و لم يكن يستحقك .. انسيه يا حبيبتي .. انسي كل ما قاسيتيه بسببه ؛ و امنحيني الفرصة لأعوضك عما مررتِ به .

فتحت أزرار ثوبها و تركته ينسدل أرضا ؛ ثم جلست على طرف فراشها و هي تجمع شعرها في يدها ليرَ ياسين العلامات التي لا تزال موجودة على جلدها ؛ و هي تهمس :-

- لن أتحمل هذا مرة أخرى .. هل تفهم ؟ .. لقد قتلت مرة و سأفعلها مرة ثانية ؛ لكنني لن أقتلك .. أنا سأقتل نفسي .. إذا لم تخرج من حياتي الآن أقسم لك على أنني سأنتحر .

كان يستطيع أن يرَ هول ما مرت به و هو يرى آثار الجروح و الحروق التي لم يلتئم

أثرها في روحها و يسمع المرارة التي تقطر من صوتها ؛ و كان يعلم أنها لا تهدد فحسب فهي من الممكن أن تفعل هذا فعلاً ؛ لأنها لا تثق به و لا تشعر بالأمان معه و لن تخاطر بأن تقاسي هذه المحنة مرة أخرى ..

أراد أن يضمها إلى صدره و يعوضها عن المحنة التي مرت بها ؛ لكنه كان يعرف أنها ليست مستعدة لذلك .. همس ياسين في صدق :

- أنا لست عمر يا سجدة .. أنا أحبك و لن أؤذيكِ .. أعترف بأنني قد أخطأت عندما طاوعت والدك و ضغطنا عليكِ لتوقعي على عقد الزواج لكنها غلطة من الممكن تداركها .

التفتت إليه سجدة و حدقت في وجهه في ألم ؛ للحظة فكرت في أنه سيلقي عليها يمين الطلاق و شعرت بالذعر ..

هي لا تجرؤ على أن تعيش معه لكنها في نفس الوقت لا تعرف كيف من الممكن أن تعيش بدونه ..

جذبها ياسين برفق لتقف قبل أن يحيط خصرها بذراعيه ؛ كان ينظر إلى عينيها و هو يهتف في حسم :

- هذا المساء ستركبين الطائرة المغادرة إلى اسطنبول .. وحدك .. أنا لن أفرض نفسي عليكِ ؛ و لن أجبرك على أن تقبليني في حياتك لو لم يكن هذا ما ترغبين أنتِ به مثلي و أكثر يا سجدة .. أنا أعرف أنكِ مجروحة و مشوشة ؛ و ليس من السهل عليكِ أن تستوعبي حقيقة شعورك نحوي ؛ و تقرري ما إذا كنتِ تريدين أن نكمل حياتنا معاً أم لا يا حبيبتي .. سأترك لكِ كل الوقت الذي تحتاجين إليه حتى تهدأ أعصابك و يصفو ذهنك و تتضح الرؤية أمامك .. لكنني أريد أن يكون شيئاً واحداً واضحاً أمام عينيكِ و أنتِ تفكرين في وضعنا قبل أن تتخذي قرارك .

صمت ياسين للحظة ؛ قبل أن يردف :

- أنا ياسين يا سجدة لا عمر .. أنا أحبك و أرغب بكِ و لا أتمنى شيئاً في حياتي أكثر من إسعادك ؛ و سأكون أسعد شخص في هذا العالم لو وثقتِ بي ؛ و استأمنتيني على نفسك و مستقبلك .. و أعدك بأنني في حياتي لن أتخلَ عنكِ أو أخذلك .

الفصل العاشر

وقفت سجدة تحدق في قبر والدها و هي تفكر في شرود ؛ لا تعرف من الذي قتل والدها و لن تنتظر حتى تعرف من يكون ..

التحقيقات لم تتوصل إلى شئ و ستظل مستمرة لوقتٍ طويل ؛ لكنها لن تنتظر حتى تعرف النتيجة ؛ لا معنى لبقائها الآن لكنها أيضاً ليس لديها ما يجعلها تعود إلى تركيا ؛ تشعر بوحدة قاسية و لا تعرف كيف تستطيع أن تجمع شتات نفسها و هي تشعر بكل هذا الضياع .

كل ما تعرفه هو أن جميعهم قد ماتوا .. أمها و والدها و عمر و لم يبق سواه .. رأتهم جميعاً ينزلون إلى قبورهم ؛ و لا تستطيع أن تضعه في القبر بيديها .. آن وقت الرحيل قبل فوات الأوان ؛ و لا يمكن أن تتلكأ الآن أو تتراجع ..

كان يؤلمها أن ياسين كان يعرف بأنها ستسافر و لم يحاول منعها بل على العكس هو الذي شجعها على السفر ..

هو حجز لها تذكرة الطائرة بنفسه و تركها تغادر المستشفى بعد أن أخبرها بمقتل والدها؛ و هو يعرف بأنها قد لا تعود إليه مرة أخرى .. ذهبت سجدة إلى المطار و هي لا تحمل سوى حقيبة صغيرة ؛ لذا أنهت إجراءات سفرها بسرعة ..

عندما أقبل نحوها شرطيان بثياب مدنية منعاها من السفر ثم اصطحباها إلى خارج المطار .. شعرت بالحيرة و هي تتساءل لماذا يتم القبض عليها الآن ؟ .. ليس بسبب عمر .. حتماً ليس بسببه .. التحقيق في حادث وفاته تم إغلاقه بسرعة بعد اعتبار الحادث قدرياً .

أثبت تقرير الطب الشرعي أن عمر كان مخموراً و اختل توازنه و قد شهد جميع العاملين بقصر والدها بأنها كانت نائمة في غرفتها عندما وقع الحادث ..

استطاع والدها أن يخفي كل آثار جريمتها بسهولة خاصةً بعد أن أصيبت بانهيار عصبي و ظلت محتجزة في المصحة حتى انتهاء التحقيق و حفظه بدون مجرد أخذ أقوالها ؛ فلماذا الآن ؟! .. لماذا ؟ ..

مع هذا لم تكن تشعر بالخوف ؛ بل على العكس ذهبت مع الرجلين بدون مقاومة و ركبت في سيارة فاخرة ذات أرقام حكومية دون أن تطرح و لو سؤالاً واحداً ؛ فقد كانت تشعر بالارتياح ..

تحتاج إلى الاعتراف بحقيقة ما حدث ليس أمام ياسين وحده بل أمام الجميع ؛ تحتاج إلى أن تواجه مخاوفها و تتحمل نتيجة فعلتها ..

قد تدخل إلى السجن لكنها ستتحرر من العذاب الذي يضنيها و قد تجد الراحة و الخلاص من الألم الذي تعيش به ..

كانت غارقة في أفكارها حتى أنها لم تلاحظ الرذاذ الذي قام الرجل الجالس بجوارها برشه على وجهها حتى فقدت الوعي .

استسلمت للظلام الذي لف عقلها و أغمضت عينيها و هي تشعر بالاسترخاء و الراحة قبل أن تفتح عينيها فجأة ؛ لكن الظلام ظل موجوداً و لم يتبدد .. ظلام دامس و مخيف لكنها لم تعد فاقدة الوعي ؛ و هي كذلك ليست نائمة ؛ و هذا رغم بشاعته لم يكن كابوساً ..

كانت محبوسة في غرفة ضيقة و مظلمة و هوائها العطن يكاد أن ينفذ و بجوارها بقايا جثة قد تآكلت داخل الكفن المهترئ .. كانت مدفونة مع عمر في نفس القبر ..

لا تستطيع أن ترَ الجثة التي سبق دفنها منذ بضعة أشهر لكنها تعرف أنها جثة عمر .. عمر الذي كانت سبباً لوفاته و وضعه في هذا القبر و ها هي تموت معه في قبرٍ واحد .

الخوف الذي أحست به لا يمكن وصفه و صدرها يضيق و أنفاسها تنقطع و الطريق الذي يفصل الموت عن الحياة قد بات قصيراً ؛ و هي تقطعه بخطى سريعة ..

ظلت تصرخ لكن الموتى فقط كان باستطاعتهم سماع صراخها ؛ و فكرت في ياسين .. قلبها كان يستغيث به و كأنه يستطيع أن يمد يديه و ينتشلها من هول ما تقاسيه .

تعرف أنها ستموت لا محالة و لن تستطيع أن تراه مرة أخرى ؛ لكن صورته كانت تملأ عينيها و قلبها عندما بدأ ذلك التراب ينهال عليها .. كان القبر ينشق و يدخله النور ؛ و عقلها المشوش لم يعد يميز ما إذا كانت ترى ياسين فعلاً أم أنها تتخيله ؛ كان ينتشلها من باطن القبر الذي كاد أن يبتلعها و يحملها بين ذراعيه و يعيدها إلى الحياة ..

استسلمت إلى ذراعيه و أغمضت عينيها ؛ لا تبالي بالموت الآن و لا تخشاه ؛ كل ما تريده أن

تبقى بين أحضان حبيبها حتى لو كان هذا مثواها الأخير ...

- سجدة .. سجدة .. افتحي عينيك يا حبيبي .. انظري إلـيّ .. أرجوك يا سجدة .. انظري إلـيّ .

فتحت عينيها و نظرت إليه ؛ أهو الخوف الذي يطل من عينيه أم الحنان الذي يجري فيهما هو الذي جعل الدموع تتفجر من عينيها و هي تلتقط أنفاسها بصعوبة قبل أن تترك رأسها يرتاح على كتفه ؟ ؛ ضمها في حنان و هو يحمد الله على أنها لا زالت على قيد الحياة رغم هول ما مرت به ....

- سيارة الإسعاف موجودة .. دعنا نحملها إلى المستشفى .

نظر ياسين إلى ضابط المباحث الذي كان يقف وسط رجاله في مدفن أسرة طلعت كساب ؛ قبل أن يتنهد هاتفاً :-

- لا داعي .. سأحملها إلى البيت .

استيقظت سجدة بعد ساعاتٍ طويلة و هي تشعر بالفزع ؛ هبت واقفة فوق الفراش لكن ياسين أسرع يأخذها بين ذراعيه ؛ و هو يهمس :-

- اطمئني يا حبيبتي .. أنت بخير .

هتفت سجدة في ذعر :

- لا .. أنا مت يا ياسين .. كنت مدفونة مع عمر في نفس القبر .. أقسم لك .. هذا لم يكن حلماً .. أنا ..

ضم ياسين جسدها المرتعش إلى صدره بقوة و قبل رأسها ؛ و هو يهتف في حنان :

- أنت بخير .. اهدئي أرجوك .

نظرت حولها في حيرة ؛ كانت تعرف هذه الغرفة جيداً رغم أنها ليست غرفتها .. مد ياسين يده ليجفف الدموع التي أغرقت وجهها و هو يهتف :-

- أنت في بيتي و ذلك الكابوس البشع قد انتهى .. اطمئنـي .

همست في ضعف :
- هل كنت أحلم ؟ .. بدا هذا حقيقياً جداً يا ياسين .. أنا خائفة .

مسح ياسين بيده على شعرها في حنان ؛ و هتف :
- لا ؛ لم يكن حلماً لكنه انتهى و يجب أن تنسيه .. لا أحد سيستطيع أن يؤذيك بعد الآن .. أقسم لكِ يا حبيبتي على أنني لن أسمح لأحد بأن يؤذيكِ بعد الآن .

في دفء صدره هدأت ارتجافة جسدها و بدأت تشعر بالهدوء رويداً رويدا ..

عندما انتزعت نفسها من بين ذراعيه برفق و نظرت إلى الملابس الغريبة التي ترتديها ؛ ابتسم هاتفاً :-

- هذا قميصي .. آسف فليس لديّ هنا ثياباً تناسبك .. ألست جائعة ؟ .. سأجهز شيئاً سريعاً لنأكله .

تركها و ذهب إلى المطبخ فنزلت عن الفراش و هي تترنح ؛ لا يزال عقلها مشوشاً و لا يستطيع استيعاب الكثير مما مرت به ؛ لكن الشيء الوحيد الذي كانت موقنة منه هو أنها بأمان .. طالما هي مع ياسين و في بيته ستظل في أمان ..

و عندما عاد إليها و هو يحمل بعض الشطائر ظلت تأكل في صمت ؛ بينما يتأملها ياسين في حنان جعل وجهها يحمر خجلاً ؛ قبل أن تضع الطعام من يدها ؛ و تنهض هاتفة :-

- أنا سأصنع القهوة .

أعادها برفق إلى الفراش ؛ و هو يهتف :-

- لا .. أنت تحتاجين للراحة ؛ ما مررتِ به لم يكن سهلاً .

همست سجدة في حيرة :

- أريد أن أفهم ما الذي حدث بالضبط .. كل ما أذكره هو أنه قد تم القبض عليّ في المطار و لا أدري لماذا ؟ .

تخلى ياسين عن فكرة صنع الشاي و جلس على طرف فراشها ؛ و هتف في هدوء :

- طلعت كساب هو الذي أرسل رجاله لاصطيادك قبل أن تعودي إلى تركيا و تفلتي من يده .

اتسعت عيونها ؛ و هي تهتف في دهشة :

- ألم يكونوا ضباطاً حقيقيين ؟

ابتسم ياسين و هتف :

- إذا قصدتِ أنهم كانوا ينتحلون صفة غير حقيقية فالاجابة هي لا ؛ لكنهم لم يكونوا ينفذون مهام وظيفتهم ؛ بل كانوا ينفذون أوامره الشخصية كما لو كانوا حفنة من المرتزقة .. لقد أصدر حكمه عليك ؛ و هم قاموا بتنفيذه .

همست في ذعر :

- هل تعني أنهم قد دفنوني مع عمر حية ؟

كانت تنتفض و هي تستعيد هول تلك اللحظات البشعة ؛ لكن ياسين ربت على يدها المرتعشة و هو يهتف :-

- غلطة عمره التي سيندم عليها كثيراً أنه حاول إيذائك .. و أقسم لك على أنه سيدفع ثمن هذا غالياً جداً .

ظلت ترتعش لا من الخوف أو التوتر ؛ لكن لمسة أصابعه الحانية على كفها جعلت ارتجافة خفيفة تسري في جسدها كله .. سحبت كفها بسرعة ؛ و التقطت نفساً عميقاً ؛ قبل أن تهمس :

- ياسين .. كيف عرفت بأنني مدفونة في ذلك القبر ؟ .. كيف أنقذت حياتي ؟

تأملها ياسين للحظة ؛ كان يستطيع أن يرَ الاحمرار الذي سرى في وجنتيها رغم شحوب

وجهها ؛ و جعله هذا يبتسم في ارتياح ؛ قبل أن يهتف :

- سعيد كان يراقبك و رآهم و هم يأخذونك من المطار إلى المقابر .. هو الموظف الوحيد الذي كان والدك يثق به و أنا كلفته بأن يكون على متن الطائرة معكِ ؛ لكنه فوت الرحلة عندما رآهما يقودانك إلى خارج المطار و تبعكم إلى المقابر .. و لحسن الحظ عندما اتصل ليخبرني بما يحدث ؛ كنت موجوداً في مكتب النائب العام الذي أصدر أمراً بالقبض علي طلعت كساب و رفع الحصانة عنه ؛ و دعمني بقوة من الشرطة مكنتني من فتح المقبرة و إنقاذك في دقائق معدودة .. لكنني واثقٌ من أنها قد مرت عليك كدهرٍ بأكمله .. أنا آسف يا حبيبتي .. سامحيني .. ما كان يجب أن أغفل عنكِ و لو للحظة و أتركك تواجهين هذه اللحظات العصيبة .

ترقرقت الدموع في عيونها ؛ و هي تهمس في امتنان :

- ياسين .. أنت أعدتني إلى الحياة من جديد .. لولا أنك قد تدخلت و أنقذتني لكنت الآن في عداد الموتى .. أنا مدينة لك بحياتي .

أحاط ياسين وجهها بكفيه ؛ و هتف في أسى :

- كان يجب أن أمنعه من الوصول إليكِ و أحميكِ منه .. فكرت في أنكِ إذا سافرتِ ستبعدين عن يده الطويلة حتى أستطيع القضاء عليه ؛ لكنه كان أسرع مني إليكِ ؛ و كان من الممكن أن أفقدك .

ارتجفت بشدة هذه المرة و أشاحت بعيونها عنه .. أبعد ياسين كفيه عنها .. فهتفت في ارتباك :

- لكنني لا زلت لا أفهم ؛ لماذا يفعل هذا بي ؟ .. إنه حتى لم يلمني على موت ابنه .

هتف ياسين في جدية :

- لقد استخدم كل نفوذه ليتم غلق التحقيق في وفاة ابنه بسرعة حتى أنه قد استبدل بتقرير الطب الشرعي تقريراً زائفاً .. كان أهم شئ

بالنسبة إليه هو احتواء الفضيحة حتى لا تؤثر على مركزه السياسي .. كما أن والدك كان يضغط عليه بشدة ؛ المصالح المشتركة بينهما و الأسرار الكثيرة التي كان والدك يعرفها عنه كانت تستطيع أن تقضِ عليه .. لكنه كان موجوداً في حفل البراءة و رآنا معاً و فهم عندئذ أن والدك قد تلاعب به و تظاهر بالتخلي عن حامد رشوان في الوقت الذي ضمن له البراءة عن طريقي .

ابتسم عندما رأى الحيرة في عينيها و هي تحاول في صعوبة استيعاب ما يقول .. و صمت قليلاً و تركها تفكر في كل ما حدث ؛ قبل أن تتنهد هاتفة :-

- أظن أنني قد بدأت أفهم الآن .. طلعت كساب هو الذي قد دبر قتل ذلك الصحفي لذلك لم يستطع والدي أن يتولى الدفاع عن حامد رشوان لأنه المحامي الخاص لـ طلعت و المستشار القانوني لكل شركاته ؛ و لم يكن مستعداً لخسارته .. لكن .. هل كان طلعت وراء مقتل والدي ؟

أومأ ياسين برأسه إيجاباً ؛ و هتف في حسم :

- هذا صحيح .. و هو أيضاً من أرسل ذلك القناص ليلة الحفل .. عندها فهم والدك أن طلعت قد انقلب عليه و سيحاول التخلص منه و منكِ ؛ على الأقل ليجد الفرصة ليثأر لموت ابنه الوحيد .. لذلك أصر والدك على إتمام زواجنا و سفرنا بسرعة ؛ حتى يتفرغ لمعركته مع طلعت كساب .

أحاطت سجدة رأسها بكفيها و هي تشعر بالدوار ؛ و همست :

- ياسين .. رأسي سينفجر ؛ أنا فعلاً أحتاج لبعض القهوة .

ذهبا معاً إلى المطبخ حيث أصرت سجدة على أن تصنع القهوة بنفسها كالعادة ؛ بينما جلس ياسين إلى الطاولة و هو يتأملها في صمت ؛ قبل أن يهتف فجأة :-

- سجدة .. أنت لا زلتِ عذراء ؛ أليس كذلك ؟

انسكب الإناء من يدها ؛ و كاد أن يسقط أرضاً ؛ عندما أسرع ياسين ليلتقطه و يضعه على الطاولة ؛ قبل أن يلتفت إلى سجدة ؛ التي همست :-

- كيف عرفت ؟

هتف ياسين في هدوء :

- تقرير الطب الشرعي الذي قام طلعت باستبداله أكد على أن عمر لم يكن مخموراً بل كان منتشياً .. فقد كان يتعاطى المخدرات بأنواع مختلفة و كميات كبيرة و منذ وقتٍ طويل ؛ و هذا من الممكن أن يتسبب في نوع من العجز .. بالاضافة إلى الطريقة المريضة التي عاملك بها .. أنا واثق من أنه كان يلومك على فشل علاقتكما لأنه لا يستطيع أن يواجه نفسه بالحقيقة .. لقد أفسد حياته ؛ و هو الشخص الوحيد الذي يتحمل اللوم على هذا .

سالت الدموع على وجه سجدة ؛ و هي تهمس :

- الشهور القليلة التي قضيناها معاً كانت كالجحيم ؛ لكنني لم أقصد قتله .. أقسم لك على أنني لم أتخيل أن شيئاً من هذا من الممكن أن يحدث .. أنا فقط كنت أحاول أن أدافع عن نفسي .. أنا كنت خائفة يا ياسين و دفعته بدون أن أفكر في أنني سأقتله .

مسح ياسين الدموع عن وجهها ؛ و هتف في حزم :

- أنت لم تقتليه ؛ لقد اختل توازنه بسبب المخدرات .. ربما تكوني قد دفعتيه عنك فعلاً لكنك لست هرقل .

شحب وجهها بشدة ؛ و هي تهمس :

- ماذا لم تم فتح التحقيق مرة أخرى ؟ .. هل سأسجن ؟

تنهد ياسين و أحاط وجهها بكفيه ؛ و هو يهمس :-

- حبيبتي .. أنت لا تثقين بي كزوج لكن على الأقل ثقي بي كمحامي .. أنا لن أسمح أبداً لأي

شخص بأن يمسك بسوء ؛ و طلعت كساب سيقضي ما بقى من حياته في السجن لأن والدك كان يحتفظ بملفات و مستندات و تسجيلات قمت بتسليمها للنائب العام بنفسي .. أنت في أمان يا سجدة .. صدقيني .

نظرت في عينيه ؛ تستطيع أن ترَ الحب الذي يتدفق فيهما ؛ و الحنان الذي غمرها به .. و همست :-

- ياسين .. في ذلك القبر .. عندما أيقنت أنني ميتة لا محالة ؛ لم أفكر في شئٍ سواك .. الشئ الوحيد الذي ندمت عليه و أنا أموت هو أنني فقدت الفرصة في أن أعيش و أتذوق حلاوة الحياة معك .. أنا أحبك يا ياسين .. أحبك من كل قلبي .

تنهد ياسين في ارتياح قبل أن يضمها إلى صدره و يقبلها في شغف..

تعرف أن القدر قد ساقها إلى بيته لأن وطنها الحقيقي كان هنا .. في قلب هذا الرجل .. و أنها أخيراً قد وجدت السعادة .. و حتى آخر العمر